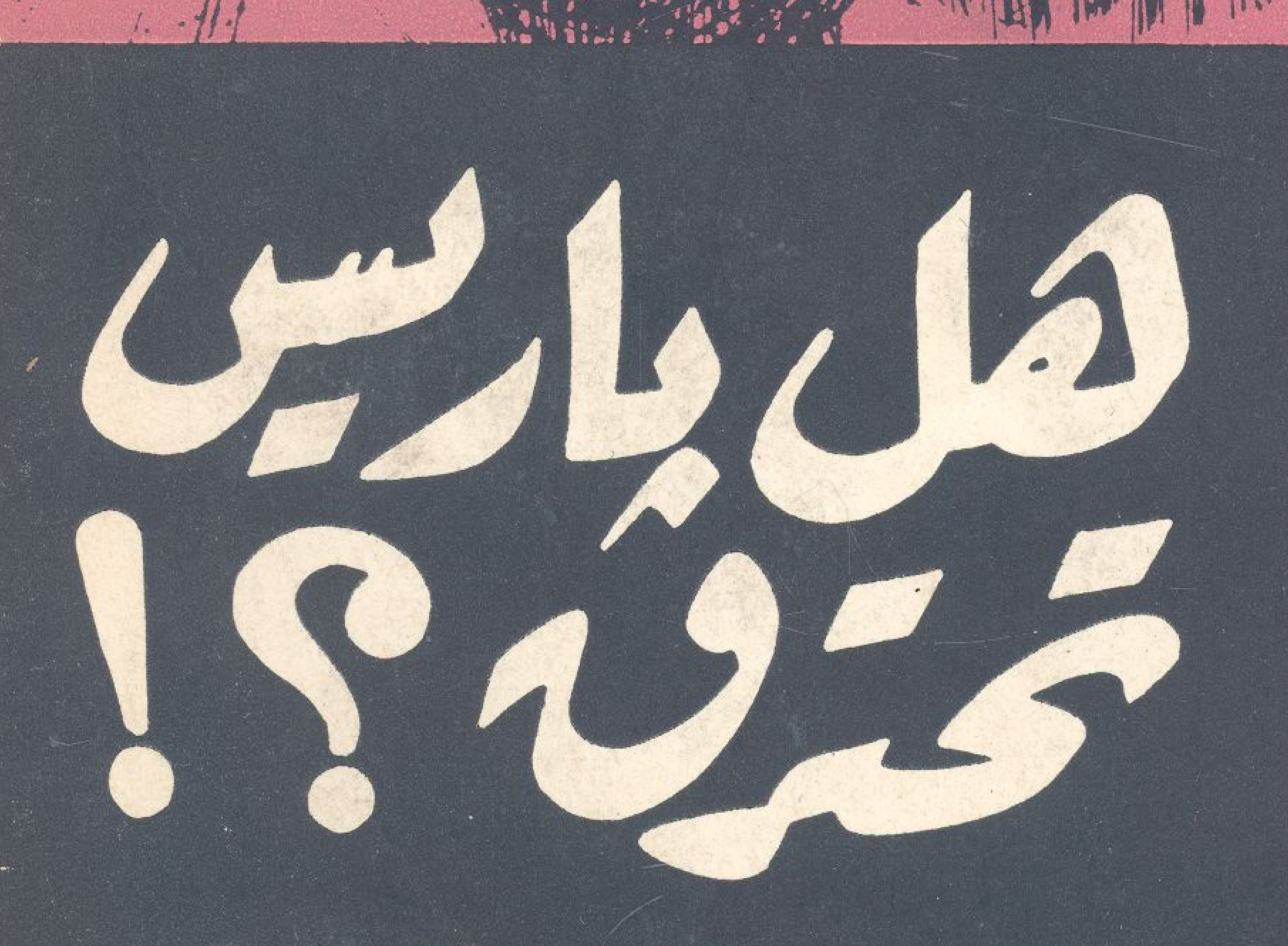
عميد الإمام

كتاب الجمهورية

العدد ٣



هل باريس تحترق ؟!

تأليف : لارى كولنز
دومينيك لاپيير

الجزء الثانى

كتاب الجمهورية

العدد الثالث
يونية ١٩٦٩

كتاب الجمهورية

يصدر أول كل شهر
عن دار الجمهورية للصحافة

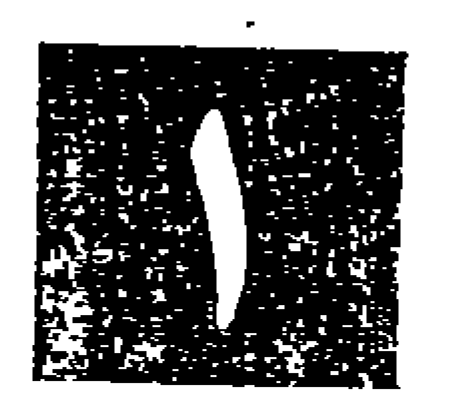
هل باريس تحترق؟

تأليف : لاري كولنز
دومينيك لابيير

عرض وتلخيص : عميد الإمام

الجزء الثانى





كان الهـــواء ثقيلا مشـــبعا بالرطوبة ، والغيوم الداكنة تملأ السماء منذرة باحتمال المطر . وفى شوارع المدينة الصامتة،كانت الدوريات الالمانية الاخيرة تسرع عائدة الى ثكناتها .. بعد أن حل الموعد الذى يرفع فيه منع التجول . وبعد قليل ، ســـتصطف ربات بيوت المدينة فى طوابير سملة جائعـــة ، فى ترقبهن اليومى لشريحة من الخبز الأسود ..

كانت باريس تستيقظ على يوم آخـر من أيام الاحتـلال التى اعتادت عليها منذ أربع سنوات . ولكن هذا اليوم لن يكون كبقية الايام .. فلن يستطيع جنود الجيش الالمانى أبدا بعد هذا الصباح الداكن أن يزعموا أنهم سادة شوارع باريس .

ومع ذلك فان معظم جنـــود حامية باريس الالمانية الذين كان عددهم يزيد على العشرين الفا ، لم يروا فى صباح يوم الســبت هذا ، التاسع عشر من أغسطس سنة ١٩٤٤ ، ما يميزه عن أى يوم آخر من الايام الـ ١٥١٨ التى قبل خلالها أهــل باريس فى هدوء وجودهم فى بلدهم ، وان لم يكن فى رضاء .

فى مئات من البيوت مبعثرة عبر باريس كلها ، كان مئات من رجال شرطة العاصمة الذين استدعتهم الرسائل التى حملتهـــا سوزان فى حقيبة يدها ، يستعدون على عجل للخروج .. فرادى أو فى جماعات ، وعلى الأقدام أو على الدراجات ، بدأوا يتسربون من شوارع باريس نحو كاتدرائية نوتردام ..

هناك ، بعد دقائق قليلة . سوف يقوم رجال الشرطة هؤلاء بأول عمل جرىء فى معركة تحرير باريس . وسوف يكشفون لمحتليها لأول مرة لهفة الثأر الكامنة تحت مظهر المدينة المسالم ..
ولكثير من الباريسيين العاديين أيضا ، سوف يكون يوم السبت هذا يوما مشهودا ..

أمام دكان جزارته الخالى من اللحم فى حى نانتير ؛ كان لويس برتى - الفرنسى الذى يخفى عنده الطيار الامريكى بوب وودرام الذى كان الالمان قد اسقطوا طائرته - ينتظر قدوم زوار يوم السبت المنتظمين ، وهم مجموعة من الحراس الالمان لسجن « مون فالريان » القريب .. يحضرون الى دكانه أسبوعيا ليستخدموا آلاته فى تقطيع كمية اللحم التى يأكلونها خلال الاسبوع ..

وكان برتى يكرههم .. فمن دكانه كان يستطيع أن يسمع يوميا صوت طلقات الرصاص التى تنفذ بها فرقة ضرب النار بالسجن أحكام الاعدام فى مواطنيه ، وكان عدد الفرنسيين الذين أعدمهم الالمان فى ذلك السجن منذ سنة ١٩٤١ قد زاد على ٤٥٠٠ فرنسى .

قبل حضور الحراس ، استقبل برتى زائرا آخر لم يكن يتوقع زيارته ، قال له أنه من « زاديج » . كان هذا الاصطلاح يعنى ان شبكة رجال المقاومة السرية التى ينتمى اليها سوف تشرع فى العمل الثورى المكشوف . فتسلح برتى بالمسدس « الكولت » الذى يخص ضيفه الامريكى ، ونادى جاره الفتى ابن الثمانية عشر عاما بيير لوجين الذى يتحرق لهفة على الانضمام الى حركة المقاومة ، واعطاه مسدسه هو ، الذى كانت زوجته تخفيه فى صندوق النقود بالمحل . ثم احاط ذراعه بشريط ختمت عليه عبارة ((**عش حرا أو مت**)) ومضى ليحمل السلاح ضد محتلى بلاده .

فى الطرف الاخر من باريس ، شرب رجل بدين مرح يرتدى « بيريه » أزرق كأسا من الكونياك ، وصعد الى سيارة نقل تسير

بالحطب • كان هذا الرجل محتالا ، ولكن احتيـاله كان من نوع مشروع .. فمنذ أول اغسطس كان « بول باردو » قد استولى — عن طريق استخدام أوراق مزورة — على محتويات ثلاثة وعشرين مخزنا من المخازن السرية الثلاثين التى كانت فرق « المليشيا » المكروهة التابعة لحكومة فيشى المتعاونة مع الالمان ، تخبىء فيها مواد تموينية ، ونقل الى حركة المقاومة السرية مائة وثمانين طنا من مجموع الاطنان المائتين والخمسين من المأكـولات التى كانت « الميليشيا » قد أخفتها بعناية احتيـاطا لمثل ظروف الطوارىء التى كانت على وشك أن تسود باريس ••

وقد وافق « باردو » على ان يقوم اليوم بمهمة اخيرة وخاصة انه ذاهب هذه المرة للاستيلاء على أسلحة عن طريق النصب والتزوير والاحتيـال أيضا .. وسوف يخرجها من مخزن تابع للميليشيا وينقلها الى رجال المقاومة السرية الذين ينوون وضـع يدهم على مبنى بلدية ضاحية « لوبرو » .

وقد وعد « باردو » نفسه ، وهو ينطلق بسيارته ، أن يجعل رحلته هذه آخر رحلة من هذا النوع .

بالنسبة لبعض سكان باريس الذين لم يكونوا على علم بالاحداث التى سوف تغمر المدينة ، كان مقدرا لهذا اليوم أن يكون ذا أهمية خاصة فى حياتهم • ليزيان تيل نشرت بعض نقط الماء فى منزلهـا المكون من غرفة واحدة على الثوب الحريرى الابيض الذى سـوف ترتديه بعد ساعات قليلة من أجل عقد قرانها ببلدية الحى الاول •• ثم أخذت تمر فوق ثنياته فى حذر بمكواة سخنتها على فرن وقوده ورق الجرائد ..

ولكن الرجل الذى كانت ليزيان ستتزوجه لن يرى ذلك الثوب .. فهو أسير حرب لدى الالمان ، وقـد اتفقـا على أن يتم الزواج بالتوكيل •

الأب روبير ليبوتر كان يسير فى خطوات بطيئة فوق كوبرى « بونتودوبل » وهو يقرأ فى كتاب الصلاة الذى يحمله فى يده ، وكان كعادته فى مثل تلك الساعة كل صباح ، فى طريقه الى باب سانت آن بكتدرائية نوتردام لاقامة القداس ، ولكن القسيس الهادىء لم يدخل فى ذلك اليوم كنيسته .

فعندما بلغ الميدان الواقع أمام الكتدرائية ، الذى يكون عادة خاليا فى مثل هذه الساعة المبكرة ، وجد أمامه منظرا لا ينسى ، رأى مئات من الرجال الذين يرتدون ملابس مدنية مختلفة يتحركون فى صمت نحو أبواب مبنى مديرية الشرطة . وبعد ذلك بثوان ، رأى قطعة من القماش مثلثة الالوان ترتفع فوق سطح مبنى المديرية الرمادى القاتم .

كانت تلك أول مرة منذ اربع سنوات وشهرين وأربعة أيام ، يرتفع فيها العلم الفرنسى رسميا فوق مبنى فى عاصمة فرنسا .

أغلق الأب ليبوتر كتاب الصلاة ووضعه فى جيبه .. وبدافع من الفضول الذى جرفه ، انضم الى موجة الرجال التى تدفقت على المديرية ..

خلال الايام السبعة المحمومة التى سادتها الفوضى والبطولة ، والتى كانت على وشك أن تبدأ سوف يكون لهذا المبنى المحاصر الذى تولد فيه ثورة مسلحة .. قسيسه .

***

كان النور يتدفق من نافذة غرفته فى مبنى مديرية الشرطة عندما استيقظ « اميديه بوسيير » مدير شرطة باريس من نومه . وقد كان خلال الايام الاربعة الاخيرة ربانا لسفينة خاوية على عروشها ، لقد كان رجاله المضربون عن العمل قد تخلوا عنه ..

دق بوسيير الجرس لخادمه الخاص جورج ، فجاءه حاملا اليه طعام افطاره بعد خمس دقائق .

سأله بوسيير :

– هل من جديد ياجورج ؟

فأجابه جورج دون ان يبدو عليه اى أثر لأى انفعال :

– نعم ياسيدى المدير ٠٠ لقد عادوا ٠

عند سماع ذلك ، قفز بوسيير من سريره واندفع الى الممر نحو أول نافذة تطل على الفناء الداخلى الضخم للمديرية ، فأذهله المنظر الذى وقعت عليه عيناه ٠ هناك فى الفناء المغلق ، رأى مئات من الرجال المسلحين بالمسدسات والبنـــادق والقنابل اليـدوية والمسلحين بأيديهم فقط ، يحيطون بسيارة ســوداء كبيرة من طراز « ستروين » ويستمعون الى رجل أشقر طويل نحيل يرتدى بدلة قماشها مكون من المربعـات ويحيط ذراعه بشريط مثلث الالوان ٠

فى صوت وصل الى نافذة بوسييركان ايف باييه يعلن أمامهم: « باسم الجمهورية وشارل ديجـــول ، استولى على مديرية الشرطة » ٠

وعندما هدأت الهتافات التى تلت تلك الكلمـات ، أخذ بوق نحاسى يعزف من مكان ما ، وســمع بوسيير كلمـات نشيد « المارسيلييز » القوية والمثيرة ترتفع من الفناء المزدحم تحته ٠٠

سمع تلك الكلمات أيضا رجل وحيد كان يمر فوق دراجتـه تحت نوافذ مديرية الشرطة فى تلك اللحظة فتوقف عن السـير لينصت ٠٠

كان ذلك الرجل هو الكولونيل رول الشـيوعى قائد حركة المقاومة السرية فى باريس ، وكان سماعه للنشيد الوطنى الفرنسى منبعثا من مديرية الشرطة هو أكبر مفاجأة تلقاها فى ذلك اليوم الذى حفل بالمفاجآت ٠

انه يربط بدراجته حقيبة نوم تحتوى على جميع الاوامر المعدة بعناية لاشعال الثورة المسلحة فى باريس فى ذلك اليوم ، ولكن هذه الأوامر ليس بينها أمر بالاستيلاء على هذا المبنى الضخم .

استبد الغضب والدهشة برول ، وحاول أن يدخل المديرية ولكنه لم يمكن من ذلك . فأيقن أن شكوكه فى محلها ، وان هناك من يحاول زعزعة سيطرته على الثورة .

ركب دراجته وتوجه الى جاراج قريب ، وهناك فتح حقيبة النوم وأخرج منها البزة العسكرية التى كان يرتديها أيام كان يحارب فى اسبانيا فى الفرقة الدولية فى أثناء الحرب الاهلية .. وفى ذلك اللباس الذى يرمز الى السلطة ، عاد رول الى مديرية الشرطة وفى نيته أن يفرض سيطرته على أولئك المتمردين الذين ثاروا بلا أوامر ، والذين يهددون بارباك قيادته لهذه الثورة التى تم التحضير لها بعناية فائقة .

ولكنه وصل متأخرا ساعة !

ففى نفس الوقت تقريبا كان ايف بابيه ينزل من سيارة شرطة سوداء ويتجه نحو رجل شاحب اللون جلس يقرأ جريدة على شرفة مقهى « ديه ماجو» .

قال بابيه لذلك الرجل :

ـ سيدى مدير الشرطة .. لقد تم الاستيلاء على المديرية ، وهى تحت تصرفك ..

فابتسم الرجل ، ووضع قبعته على رأسه ونظارته على عينيه وتبع بابيه الى السيارة ..

قبل ذلك بسبعة أيام ، وبناء على أوامر شارل ديجول ، كان ذلك الرجل الذى يدعى شارل لويزيه قد هبط بمظلة فى جنوب

فرنسا .. وكان قد أوفد فى مهمة خاصة . لقد تقرر أن يكون هو مدير شرطة باريس التابع لديجول . وكان عليه أن يؤمن بقاء قوة شرطة باريس الحيوية الاهميـــة فى أيدى الديجوليين وليس فى أيدى الشيوعيين .

بعد دقائق ، سوف يصبح ذلك الرجل الكفء الهادىء ، أول موظف عينه ديجول ، يمارس مهام عمله فى باريس .

لقد كسب الديجوليون الجولة الاولى . أصـــبح المبنى الذى سوف يصبح رمزا للثورة التى أعدها الشــيوعيون ، فى أيديهم ، وسوف يكون الصخرة الصلبة التى سوف يتشبثون بها فى الايام القـــادمة .

***

بينما كان لويزيه يدخل مديريته ، كان رجل آخر خجوليدخلها أيضا من باب جانبى حاملا فى يديه حقيبتين .

وقد توجه ذلك الرجل الى معمل مبنى مديرية الشرطة مباشرة ؛ وهناك أخرج من حقيبتيه ثمانى زجاجات من حامض الكبريتيك وعدة أرطال من كلورات البوتاسيوم .

ثم شمر ذلك الرجل ــ « فردريك جوليو ــ كورى » ــ عن ساعديه ، وأخذ تلك الزجاجات التى استعارها من المعمل الذى كانت حماته مارى كورى قد اكتشفت فيه الراديوم ، وشرع فى صنع قنابل من المعروفة باســم « كوكتيل مولوتوف » من أجل الدفاع عن مديرية الشرطة .

***



عدا النكسة غير المتوقعة التى لحقتها فى مديرية الشرطة ، فان الثورة التى أعد لها الكولونيل رول بعناية فائقـــة كانت تنتشر بسرعة وفاعلية عبر العاصمة ٠

كانت جميع الأوامر الخاصة بها والتى بدأ تنفيذها هذا الصباح، قد كتبت ووزعت خلال الايام الاربعة الاخيرة ٠

وكان نائب رول فى قلب العاصمة ــ وهو مدرس نحيل اتخذ لنفسه اسم «دوفريسن» فى حركة المقاومة ــ قد أمضى الليلة وهو يعد آخر هذه الأوامر فى غرفة نوم شديدة الحرارة تقع خلف شارع فوش ، بينما كان يقرع اذنيه وقع اقدام حراس الجستابو الذين كانوا على مسافة خطوات منه .

وفى السابعة صباحا ، سلم تلك الأوامر الاخيرة الى رجـال ونساء الاتصال التابعين له فى شـارع كونتى ، بينمـا كان الالمان يملأون الشارع ٠

ومنذ الفجر كان الشيوعيون قد بدأوا يغطون جدران المدينة بملصقاتهم التى تدعو الى « التعبئة العامة » ٠

كانت المشاكل الأولى التى واجهت رول ومساعديه ذلك الصباح، كثيرة ومعقدة ٠

كان عليهم ان ينظموا وســـائل اتصالاتهم ، وأن يقيموا مقرا للقيادة ، وأن يخرجوا أسلحتهم من مخابئها ويوزعوها على فدائيى حركة المقاومة ٠

وقد لعبت تنظيمات حركة المقاومة في سنترالات تليفـونات المدينة دورا أوليا وحيويا ساهم بقدر كبير فى تقدم الثورة ، فقد حطمت تلك التنظيمات اجهزة الرقابة على التليفونات التى وضعها الألمان ٠

ولكن بالنسبة لجنود رول العاديين ، كان الامر سهلا فى هذه المعركة . فقد حدد لهم رول مهمتهم فى جملة أصبحت مثـلا من أمثال تلك الثورة ، وهى : A chacun sen boche

اى ((لكل واحد الالمانى الخاص به)) ٠٠ أو ان على كل فرد فى حركة المقاومة بمعنى آخر ، ان يقتل المانيا بالطريقة التى تتيسر له٠

ومنذ السابعة صباحا ، كان رجال المقاومة قد بدأوا ينفذون هذه المهمة فى طول باريس وعرضها ٠ اخذوا يتصيدون الالمان فى جماعات صغيرة ، ويهاجمون الجنود الالمان والعربات الالمانية اينما وجدوهم معـــزولين عن بقية زملائهم ٠ وكان هدفهم الرئيسى هو تسليح انفسهم عن طريق تجريد المحتلين الالمان من اسلحتهم ٠

فى الساعة التاسعة ، كان اطلاق الرصاص قد بدأ فى جيوب متفرقة عبر باريس بأسرها ٠ وقد ذهل الجنرال فون شولتتزوغضب عندما تلقى أول تقرير عن الثورة ، اذ كان مفاجأة تامة بالنسبه له ٠

فلم يكن أى من اجهزة المخابرات التابعة له قد قدم له أى تحذير بشأنها ، وكل ما كان قد ابلغ به كان مجرد ملاحظات عامة عن وجود « عدم ارتياح » بين الاهالى .. حتى انه فى تقريره الصباحى الى القيادة الالمانية العليا فى الغرب والى قيادة مجموعة الجيوش «ب» الذى بعث به قبل دقائق فقط من وصول انباء الثورة اليه ، قد ذكر ان المدينة « هادئة تماما » .

وبدت الهجمات الأولى التى قام بها رجال المقـــاومة واسعة الانتشار ومنظمة الى حد ، جعل فون شولتتز يقتنع على الفور بانها تدار بتوجيه سلطة مركزية واحدة .

خلال هاتين الساعتين ، كان وجه المدينة قد تغير ، اصبح جو من التهديد والاكفهرار يسيطر على شوارعها الخالية . وكان القليلون الذين يسيرون فيها يهرولون فى عصبية من باب الى باب .. راكبو الدراجات كانوا يسيرون على الارصفة . ومن حين لآخـر كانت تخترق الشوارع بسرعة سيارة دهنت عليها بسرعة وزهو الحروف الاولى من الاسم الرسمى لحركة المقاومة .

غير ان الذى ميز هذا الصباح اكثر من أى شيء آخر كان صوت لم تسمعه شوارع باريس منذ عام ١٨٧١ ، هو صوت البارود .

وقد كان ذلك الصوت بالنسبة لمجموعة صغيرة من الرجـال تجمعوا فى صالة بيت يقع فى شارع (بيلشاس) غير البعيد عن السين ، بمثابة تذكرة غير سارة بجملة شهيرة للكاتب جان بول سارتر يقول فيها : « بينما نحن نتناقش ، تكون الأعـــمال قد حسمت الامور » .

فأولئك الرجال كانت تتألف منهم « اللجنة القومية للمقاومة » التى هى أعلى سلطة سياسية فى حركة المقاومة .. وكانت لجنتهم

قد دعيت للاجتماع للموافقة على قرار البدء بالثورة الذى كانت قد اتخذته فى « كلامار » بعد ظهر اليوم السابق « لجنـــة باريس للتحرير » التى تعد ــ نظريا ــ من الهيئات التابعة للجنتهم .

ولكن فى اللحظة التى اعلن فيها جورج بيدو رئيس اللجنــة القومية للمقاومة ان الغرض من الاجتماع هو مناقشة اقتــراح بالشروع فى الثورة ، ترددت فى الشوارع المحيطة بمكان الاجتماع اصداء طلقات رصاص تلك الثورة !

واجه النقابى الشيوعى القوى اندريه تولليه زملاءه بأمر واقع ، كما كان فى نيته ان يفعل .. وقال لأعضاء اللجنة العليا ان الثورة ستستمر سواء أيدوها أو لم يؤيدوها .

ألكسندر بارودى ، ممثل ديجول فى اللجنــة ، كان مقتنعــا تماما بأن الثورة هى حركة سياسية يقوم بها الشيوعيون ، بقدر ما هى مساهمة فى مقاتلة الالمان .. ولكنه عندما اصدر تعليماته بالاستيلاء على مديرية الشرطة كان قد اعترف ضمنا بان الثــورة اصبحت أمرا لامفر منه . ولو رفض الآن المضى فى طريق الثورة ، فانه بذلك يترك الشيوعيين يستأثرون بقيادتها .. ويوجد انقساما علنيا فى حركة المقاومة .

اذن ، فهو لم يعد له الخيار .

بعد ساعتين من مولدها ، كانت الثورة قد اتسعت الى حد ادرك بارودى معه ان وقفها اصبح مستحيلا ، وانه لم تبق الا محــاولة السيطرة عليها .

فالتفت الى جورج بيدو وابلغه تأييد شارل ديجول للثورة التى كان ديجول نفسه قد طلب منه ان يمنع قيامها .

فى الشوارع خارج البيت الذى اجتمع فيه أعضاء « اللجنــة القومية للمقاومة » ليقرروا هل تقوم الثورة أو لاتقوم ، لم تكن الثورة قد بدأت فقط منذ ساعتين ، ولكنها كانت قد بدأت تدخل مرحلتها الثانية .

فبينما كان اعضاء اللجنة يعلنون تأييدهم لقرار اشعال الثورة، الذى كان قد بدأ تنفيذه فعلا قبل أن يبــدأ اجتماعهم .. كانت جماعات منظمة من رجال المقاومة قد تحركت ـ مسلحة بأية اسلحة استطاعت ان تعثر عليها ـ نحو المبانى العامة فى جميع انحاء المدينة.

كان هدف تلك الجماعات ـ وفقــا لخطة أعدت بعناية ـ هو الاستيلاء على دور البلديات فى أحياء باريس العشرين ، وعلى مراكز الشرطة وعلى مكاتب البريد ، وعلى ســائر المبانى الحكومية بما فيها المذبح ومسرح الكوميدى فرانسيز .

وفى كل مكان كان عمل التحدى الأول واحدا .. من النوافذ وفوق الأسطحة ارتفعت فى سماء باريس من جديد أعلام فرنسا التى كان رفعها محرما منذ الاحتلال الالمانى .

***

ارتدى الكولونيل « العقيــــد » المتقاعد بول ماسبيو ملابسه العسكرية القديمة فى سرور وزهو ـ مثلما فعل مئات من زملائه ضباط الاحتياط ـ وخرج للالتقاء برجال المقاومة الخمسة الذين يتولى قيادتهم ، عند مدخل كنيسة سان جرمان لوكسروا .

من ذلك المكان أخذ يدرس فى خيلاء الهدف الذى كلف باحتلاله والذى كان على بعد أمتار قليلة منه . كان ذلك الهدف هو مبنى بلدية الحى الاول فى العاصمة الفرنسية الذى يقع امام أبواب متحف اللوفر .

وكان يقف بجانبه مساعده القصير مارسيل ديبوى ملقن فرقة الكوميدى فرانسيز ، الذى كان يحمل « طبنجة » قديمة ٠٠

ولكن الملقن كان يعتز بسلاح آخر أهم منه ، كان يضـــعه فى جيبه ٠٠ وهو قطعة ورق عليها ختم لجنة التحرير بالحى الأول ، تتضمن أمرا بتعيينه مديرا لبلدية الحى ٠

داخل مبنى البلدية ، كان يجرى احتفال ٠ كانت ليزيان تيل تنظر فى حسرة الى المقعد الخالى بجوار مقعدها الذى كان المفروض ان يحتله الرجل الذى تنتظر الزواج منه منذ ثلاث سنوات ٠٠ لكن بعد دقائق سوف يتحقق حلمها ولوجزئيا باتمام زواجهـا منه فى غيابه ٠

وكان مدير البلدية الذى احاط وسطه بالوشاح المثلث الالوان الذى يصاحب منصبه ، يستعد لاتمام اجراءات عقد القران تحت صورة كبيرة للمارشال « المشير » بيتان رئيس الدولة الفرنسية المتعاونة مع الالمان ٠

قبل أن يبدأ مدير البلدية فى تلاوة الكلمات الرسمية التقليدية التى تتلى فى مثل هذه المناسبة ٠٠ انفتح باب صالة الزواج فى عنف ، واندفع منه الملقن مارسيل ديبوى وهو يلوح بطبنجتـــه القديمة فى يده ، ودخل وراءه فى خطوات عسكرية رنانة الكولونيل ماسبيو ومن خلفه بقية رجاله الاربعة ٠٠ وأبلغوا مدير البلدية الذى عقدت الدهشة لسانه بأنه قد عزل من منصبه وانه اصبح اسيرهم ٠

انفجرت العروس باكية ، بينما وقف الكولونيل ماسبيو يعلن فى صوت جهورى ، وفى نبرات عسكرية صارمة انه يستولى ــ باسم لجنة التحرير ــ على مبنى بلدية الحى الأول فى باريس ٠

ثم اعلن الكولونيل بعد ذلك فى نفس الصـــوت والنبرات الصارمة ان احتفال الزواج سوف يستمر ·

أخذ الملقن مارسيل وشاح سلفه ولف به وسطه،ثم أنزل صورة المارشال بيتان عن الحائط ، وادى أول اعماله الرسمية فى منصبه الجديد ·· وهو عقد قران ليزيان تيل على خطيبها اسير الحرب الغائب ·

***

فى مبنى بلدية حى « نيبى » لم تكن هناك حفلات زواج ذلك الصباح ·· كان ذلك الحى المجاور لغابة بولونى ، والمؤلف من الفيللات الرشيقة اهدأ احياء باريس طوال سنوات الاحتلال ،وربما كان عدد المتعاونين مع الالمان ورجال فيشى والالمان الذين يقطنونه اكبر منه فى أى جزء آخر من العاصمة ·

ومثل سائر الجنود الالمان الخمســـة آلاف الذين كانت تقع ثكناتهم فى ذلك الحى ، فان الجنديين اللذين جلسا يحتسيـــان الكونيــاك فى المقهى الذى يقع خلف بلدية الحى ، كانا يشـــعران بالاطمئنان التام ·

وعندما سمعا باب المقهى يفتح من ورائهما تبادلا ابتسامة ماكرة ·· اذ لم يشكا فى ان القادم هو جانين مربية الاطفال الشقــراء الحسناء التى ينتظرانها ··

ولكنهما عندما التفتا وجدا الى جوارهما الجزار لويس برتى ، الذى هددهما بمسدســه وجردهما من سلاحهما واقتادهما الى مبنى البلدية ·

فى الطريق حاول ثلاثة من الفرنسيين ان يبصقوا على الالمانيين، لكن لويس ابعدهم قائلا ان الالمانيين اسيران ولا يجوز الاعتــداء عليهما ·· فمسح احد الالمانيين وجهه ، وشكره ·

***

رأى عدد من سكان الحى اندريه كاييت صاحب المصنع السابق وهو يحتل مع رجاله الخمسة والستين مبنى البلدية ويوزعهم على أدوار المبنى الثلاثة بعد ان رفعوا فوقه العلم الفرنسى ، فجرى احدهم لينذر الالمان . بعد دقائق وصلت سيارة عسكرية المانية الى الساحة التى تقع أمام المبنى ونزل منها ستة جنود المان اصطفوا خلفها وصوبوا بنادقهم الى نوافذ البلدية . ثم تقدم الضابط الذى رافقهم من المبنى وصاح فى محتليه طالبا منهم التسليم والخروج من المبنى .

فكان رد كاييت هو :

ــ بل أنتم الذين تستسلمون لنا .. فأنتم تواجهون الآن جيش التحرير !

اخرج الضابط الألمانى مسدسه وأطلق النار على النافذة التى جاءه منها صوت كاييت . فانهالت الطلقات من جميع نوافذ مبنى البلدية على الضابط الالمانى وجنوده . وبعد دقائق كانوا جميعا قد أسلموا الروح .

ساد الصمت برهة بعد ذلك ، ثم امتلأت جميع الشوارع المحيطة بالبلدية بصوت سيارات نقل الجنود الالمانية الآتية لمحاصرة المبنى .

***

داخل مديرية الشرطة ، جلس طالب الحقوق ادجار بيزانى يشد شعر لحيته فى حيرة وهو جالس أمام لوحة التليفونات ينظر الى مصابيحها الصغيرة الأربعة والعشرين وهى تضىء باللون الاحمر.

وتطفيء بلا انقطاع ،دون ان يدرى ما يفعله .. فمن جميع انحاء باريس كانت اقسام الشرطة تطلب المديرية تليفونيا ، ولكن المدير الجديد لمكتب شارل لويزيه مدير الشرطة الجديد لم يكن يعرف كيف يرد عليها .

ووأخيرا بدا بيزانى يحرك أصابع اللوحة كيفما اتفق.. وضغط على احد ازرارها وهو يضع سماعته على اذنه ، فجاءه صوت يصرخ فى فزع .

ـ ان الالمان يحاولون اقتحام بلدية « نيبيى »

ولكنه لم يستطع سماع بقية ما قاله محدثه لأن صوت انفجار عنيف اصم أذنيه .

ترك بيزانى السماعة وجرى الى النافذة فوجد سيارة جنود المانية تحترق كالشعلة فوق الرصيف بعد ان اصابتها قذيفة محرقة فى حين كان ركابها يتساقطون الواحد تلو الآخر تحت وابل الرصاص الذى انهال عليهم وهم يقفزون منها

وغير بعيد منها كانت هناك سيارة جنود المانية أخرى حوصرت بين النيران المتقاطعة المصوبة اليها من مبنى المديرية ومن مبنى قصر العدل المجاور لها ؛ وأخذ ركابها يحاولون الهرب وهم يطلقون بدورهم الرصاص على الجهات التى ينصب منها الرصاص عليهم .

واحد فقط من ركاب تلك السيارة تمكن من الهرب اخيرا .. وقد ظل يجرى والدم يغطى وجهه ، وقنبلة يدوية فى كل من يديه ، الى أن اجتاز كوبرى « بونتو دوبل » . بعد ذلك عثر على سيارة يقودها طبيب فرنسى فأجبره على حمله الى فندق « ميريس » مقر القيادة الالمانية فى باريس .

دخل ذلك الرجل ـ الرقيب برنهارد بلاخه ـ بهو الفندق وهو لايزال يهز القنبلتين فى يديه .. وصعد السلالم التى رآها أمامه ، واقتحم أول باب صادفه وهو يصيح :

يا الهى ! ما الذى تنتظرونه لارسال الدبابات ؟ .. ان رجالنا يحترقون !!

***



كانت الدبابات قد تحركت فعلا ووصلت ثلاث منها الى مبنى بلدية حى « نيبى » .. اتخذت اثنتان منها موقعيهما أمام المبنى ، بينما توجهت الثالثة الى الحديقة التى تقع وراءه ٠

وفى داخل المبنى كان رجال المقاومة الذين احتلوه قد أوشكوا على بلوغ حالة اليأس ٠ فهم محاصرون منذ ثلاث ساعات ، وذخيرتهم على وشك النفاد ، وجرحاهم الذين ارقدوهم جنبا الى جنب مع القتلى فوق صف من مكاتب البلدية ينزفون دماءهم حتى الموت، لأنه فى فورة الحماسة الطاغية التى دفعتهم الى احتلال البلدية لم يكن واحد منهم قد تذكر أن يحضر معه ضمادة واحدة أو أية أداة أخرى من ادوات الاسعاف .

وصاح فيهم ضابط المانى من الخارج فى مكبر للصوت :

ـ استسلموا والا فسوف نحطم المبنى فوق رءوسكم !

فكان ردهم عليه هو وابل جديد من رصاصهم الذى لم يكد يتبقى منه شىء ٠

عندئذ تقدمت احدى الدبابات من المبنى ٠ وبطلقة واحدة شديدة الانفجار مزقت بابه الحديد ، ثم أخذت تحبو صاعدة السلالم المرمرية المؤدية اليه ٠

أصبح الفرنسيون عاجزين عن الاستمرار فى المقاومة ، فلم تكن ادوات الاسعاف وحدها هى التى نسوا ان يحضروها معهم ،

ولكنهم كانوا قد اغفلوا كذلك ان يزودوا انفسهم بزجاجات «كوكتيل مولوتوف» •• وكان رصاص بنادقهم الذى اطلقوه على الدبابة غير قادر على أن يؤثر فيها بالمرة •

فأصدر « كايبيت » أمره الى الرجال الذين كانوا يقاتلون معه فى الدور الأول بالانسحاب الى البدروم • ومن هناك نزلوا من فجوة صغيرة عرضها قدمان وفوقها غطاء من الاسمنت الى حجرة صغيرة فى حجم دولاب كبير كان جدارها يؤدى الى احدى قنوات مجارى باريس .. أى الى النجاة . وكان اثنان من رجال المقاومة قد بدآ منذ ساعة فى حفر فجوة فى ذلك الجدار .

لف كل من الرجلين فأسه بقميصه ليحبس صوته ، وواصلا الحفر فى سرعة محمومة ، بينما ازدحم حولهما الآخرون يتصببون عرقا ويلهثون •

ووقف كايبيت على قمة السلم الحديدى الصغير الذى علاه الصدأ تحت غطاء الفجوة الاسمنت ينصت الى وقع أقدام الالمان وهم يطوفون بالبدروم بحثا عنهم •• وسمع كايبيت صوت حذاء يحتك بحبات الرمال وبالغبار الذى يكسو غطاء الفجوة فوق رأسه، ثم سمع الالمانى ينادى •• فأيقن أن النهاية قد حلت ؛ وأخذ ينتظر وهو يرتعد انفتاج الفجوة فوق رأسه وتساقط الاربع أو الخمس قنابل يدوية الكافية للقضاء عليه وعلى جميع من اختبأوا معه فى ظلام ذلك القبو •

***

فى مبنى مديرية الشرطة ، مزقت القنبلة الأولى باب المبنى الرئيسى الحديد ، واقتلع وقع انفجارها ادجار بيزانى من مكانه وقذف به الى احد اركان غرفته تحت سيل من قطع غطاء الحائط

المتساقط . وبينما أخذ يبحث عن نظارته وصل اليه صوت يصيح فى فزع : لقد وصلت الدبابات !

كانت ثلاث دبابات قد بدأت تطوف الميدان الكبير الواقع بين مبنى المديرية وبين كاتدرائية نوتردام ، وكانت الساعة قد بلغت الثالثة والنصف بعد الظهر ..

ورآها رجال الشرطة الذين قبعوا وراء اكياس الرمل الهزيلة مسلحين بالمسدسات والبنادق القديمة وبعدد صغير من رشاشات « هوتشكيس » البطيئة .. فاستولى عليهم الفزع . وفى اعداد صغيرة أولا ثم بالعشرات ، تركوا استحكاماتهم واندفعوا جريا نحو المنفذ الوحيد الى السلامة الموجود بالمبنى ، وهو محطة « المترو » الداخلية المقامة تحت الأرض ، التى يقود نفقها الى الضفة اليسرى لنهر السين .

لكن رجلا واحدا أوقف هربهم ، فقد اندفع الرقيب ارمان فورنيه رئيس احدى شبكتى المقاومة السرية فى قوة الشرطة نحو السلالم المؤدية الى المحطة ووقف عند قمتها شاهرا مسدسه فى يده وهدد باطلاق النار على أول رجل يحاول نزول السلالم .

ثم صرخ فى الرجال الذين ارادوا النجاة قائلا :

ـ ان أملنا الوحيد فى النجاة هو أن ننتصر !

فاستولى الذهول والخجل على الهاربين ، وتوقفوا عن الجرى .

وفى المبنى فوقهم وقف بيزانى فى مكتبه يملى رسالة عاجلة على عامل جهاز « التلتيب » الذى ينقل الرسائل الى جميع اقسام الشرطة فى باريس فى وقت واحد ، قال فى رسالته :

« اصبح من المتوقع ان يهجم الالمان على مبنى المديرية بالدبابات . جميع قوى المقاومة المتوفرة مطلوبة لمهاجمة الالمان من الخلف »

وبعد أن ضرب العامل آخر كلمات الرسالة على جهازه ، ضغط على زر يطلق رنين الانذار العام فى جميع مراكز الشرطة فى باريس.

وفى قبو مبنى المديرية الخافت الضوء ، كان ثلاثة رجـــال يتصببون عرقا على الرغم من انهم عروا صدورهم ، وهم يصنعــون أشد اسلحة المبنى فاعلية ..

كانوا يفتحون زجاجات الشمبانيا التى كدسها مدير الشرطة السابق فى القبو ، ويفرغون محتوياتها على الارض ، ثم يملأونهـــا بالجاز وبحامض الكبريت وفقا للارشادات التى زودهم بها فريدريك جوليو ــ كورى . وبعدذلك كانوا يعيدون اغلاق الزجاجات ويلفونها فى أوراق مغموسة فى كلورات البوتاسيوم .

وكانت مجموعة أخرى من رجال الشرطة تتولى نقل الزجــاجات المحولة الى قنابل « كوكتيل مولوتوف » الى أدوار المبنى العليا .

جندى الدبابات الالمانى فيلى لينكة رأى احدى زجاجات جوليو كورى القاتلة تتأرجح فى الهواء ثم تدخل برج الدبابة المجاورة له الذى كان قد ترك مفتوحا فى حماقة ، وتحول الدبابة فى ثوان الى شعلة من النيران . وسمع صيحات الفرح تتردد من مبنى المديرية من فوقه .. فجن جنونه ، وأمر باطلاق قنبلة جديدة من دبابته على المديرية .

قبل الساعة الخامسة بقليل ، سرت اشاعة مخيفــة فى مبنى المديرية ،تقول ان ما فيه من ذخيرة قد أوشك على النفاد . ودخل الرقيب فورنيه الذى كان قد أوقف فرار رجال الشرطة المفزوعين قبل ذلك ، مكتب بيزانى ليؤكد فى وجوم صحة تلك الاشــاعة وليبلغ مدير مكتب مدير الشرطة الجديد ان ما بقى لدى بعض المدافعين عن المبنى من الذخيرة لايكاد يكفيهم لمدة دقيقتين اخريين.

أمسك طالب الحقوق الملتحى بيزانى سماعة تليفونه وطلب رقم منزل اخته لورانس ليقول لها :

ـ اننا لن نخرج من هنا احياء • الشىء الوحيد الذى يمكن أن ينقذنا هو أن يصل الامريكيون الى هنا بأقصى سرعة •

ثم طلب منها ان تقبل طفليه نيابة عنه ، واعاد السماعة الى مكانها •

***

بالنسبة لمجموعة الامريكيين الذين تجمعوا فى عربة خرائط لا يزيد حجمها على نصف حجم عربات القطارات ، على بعد ١٧٥ ميلا من باريس ، لم تكن تلك المدينة فى ذلك اليوم الا « بقعة سوداء على الخرائط ينبغى تخطيها فى الزحف المتجه نحو نهر الراين » .. على حد التعبير الذى استخدمه الجنرال الامريكى عمر برادلى فيما بعد فى كتابه « قصة جندى » •

كانت عربة الخرائط تلك تتبع مقر القيـــادة المتقدم للجيش الامريكى الثانى عشر الذى استقر فى مزرعة تفاح على ضفاف نهر مايين بالقرب من مدينة لافال • وكان مصير باريس سوف يرسم عما قريب فوق خرائط تلك العربة •

كانت باريس بالنسبة للجنرال برادلى قائد الجيش الثـانى عشر ولهيئة أركان حربه مكانا يجب تجنبه بأى ثمن • فقد كان لذلك الجنرال الهادىء الاصلع هدف واحد فقط ، هو ان يندفـع برجاله بأسرع ما يمكن لابعد مسافة ممكنة بقصد خرق ثغرة فى خط سيجفريد ـ خط الدفاع عن المانيا ـ والوصول الى الراين قبل ان تتاح للعدو المتراجع أمامه فرصة اعادة تنظيم قواته •

ولم يكن يقلق الجنرال برادلى فى ذلك الحين الا شىء واحـد فقط ، هو الجازولين •

قبل ذلك بيومين كانت القيادة العليا للحلفاء فى أوربا قدابلغته بأن مخصصه اليومى من الوقود سوف ينقص بمقدار ٦٧ الف جالون عند تحرير باريس ، وذلك لتزويد العاصمـــة الفرنسية

بحاجتها منه . فهاله هذا الرقم وصدمه . ان كمية الوقود هذه تكفى لتحريك فيلق كامل مسافة ٢٥ ميلا فى اليوم . وكان يرى انه لو امكن الاندفاع نحو خط سيجفريد بكمية الوقود المقرز تحويلها الى باريس ، فانه يمكن تعويض تلك المدينة عن ذلك بوضع نهاية اسرع للحرب .

أخذ الجنرال برادلى يستمع فى اجتماعه اليومى هذا بهيئة أركان حربه الى مدير امداداته يتلو الارقام الحيوية الاهمية المتعلقة بالوقود الذى يتوقف عليه الكثير .. عدد الجالونات التى انزلت منه بالامس على الشواطىء ، وعدد الجالونات التى تم نقلها بالسيارات عبر خطوط التموين المتزايدة الطول ، وعدد الجالونات المتبقى كاحتياط فى المستودعات الامامية لجيشه .. وكان يبدو كرجل يعانى سكرات الموت وهو يستمع الى تلك الارقام .

ولم يتنبه الجنرال برادلى الى الرسول الذى دخل عربة الخرائط من بابها الخلفى ، وسلم ورقة مكتوبة الى مساعده البريجادير - جنرال « العميد » ادوين سيبرت ..

كانت تلك الورقة تتضمن نص احدى الرسائل اللاسلكية المتبادلة بين الالمان التى أمكن الاستماع اليها .. وقد أشار الجنرال سيبرت اشارة عابرة الى محتويات تلك الرسالة عندما جاء دوره لتقديم تقريره فى الاجتماع ، فقال :

- يبدو أن هناك بعض الاضطرابات فى باريس ، يقوم بها المدنيون .

فاعتدل برادلى فى جلسته وقال فى ضيق :

- اعرف سريعا ما يجرى هناك . اننا لانستطيع ان نسمح لباريس بأن تقف فى طريقنا .

كان عمر برادلى قائد الجيش الذى علق عليه ادجار بيزانى

وزملاؤه المحاصرون أملهم الاخير ، مصمما تماما على الا يسمح لاى شيء باعتراض تنفيذ خططه القائمة على تخطى باريس ، وكانت هناك اسباب قوية وراء تصميمه ٠

فقد اختار اندريه تولييه وزملاؤه للبدء في ثورتهم ، نفس اليوم الذى كان الحلفاءقد حدوده للشروع فى تنفيذ المرحلة الجديدة فى خططهم ألتى وضعوها على أساس تخطى باريس ، فقبل ساعات قليلة من اجتماع برادلى بهيئة أركان حربه ،كان القائد الاعلى للحلفاء فى أوربا الجنرال دوايت ايزنهاور قد اصدر أمره الى قواته باجتياز نهر السين ٠ وقد اصدر ذلك الامر بعد مشاورات طويلة اجراها مع ضباط الامدادات والتموين فى قيادته ٠

فى تلك الليلة ، وبينما الثوار المحاصرون فى مبنى مديرية الشرطة يرون نهاية ما لديهم من ذخيرة تقترب ، سوف تقطع قوات لواء المشاه الامريكى ٣١٣ نهر السين عند سد فى «مانتجاسيكور» مبتدئة بذلك تنفيذ الخطة القائمة على تخطى باريس ٠

***

كانت باريس بعد ظهر ذلك اليوم موضع اهتمام اجتماع عسكرى آخر ينعقد على بعد نصف قارة من مقر قيادة الجنرال برادلى ٠

فعند اجتماع هتلر بهيئة قيادته فى مقره ((وكر الذئب)) براستنبورج فى بروسيا الشرقية ، طلب الفوهرر مرة أخرى مناقشة الموقف فى الجبهة الغربية ، قبل ان يعرض عليه التقرير الخاص بالجبهة الشرقية ٠

وكرر هتلر لرجاله فى هذا الاجتماع ما سبق أن قاله لهم من ان الاحتفاظ بباريس أمر اساسى ٠

فقد أصبحت باريس الآن هى أمل الالمان الاخير فى وقف زحف الحلفاء نحو السين ، وتأخير اندفاعهم نحو منطقة ((الروهر)) ٠

بعد ان دمرت طائرات الحلفاء جميع الكبارى القائمة فوق نهر السين باستثناء تلك الموجودة فى باريس ، اصبحت باريس هى الممر الوحيد الذى يمكن أن تصـــل منه الامدادات الى الجيوش الالمانية جنوبى نهر السين .

وأمر هتلر بتعزيز حامية باريس بأية قوات جديدة يمكن ارسالها اليها . واستقر رأيه على نقل فرقتين مدرعتين اليها من الدانمرك .

وقد طمأنه مدير العمليات بقيادته الى ان العناصر المتقدمة من تلك الفرقتين اللتين سوف تتحركان ليلا فقط تفاديا لغـــارات الحلفاء الجوية ، يمكنها ان تصل الى منطقـة باريس فى الخامس والعشرين أو السادس والعشرين من اغسطس .

ولم يكن هتلر قد سمع شيئا بعد عن نشوب الثورة فى باريس، غير ما انباته به القيادة الالمانية العليا فى الغرب فى اليوم السابق، من أنه قد حدثت بعض الاشتباكات المتفرقة بين « الارهابيين »وبين القوات الالمانية هناك .

وأملى هتلر أول أوامره الى الجنرال ـ فلدمارشال مودل الذى عينه مؤخرا قائدا عاما للجبهة الغربية لانقاذ الموقف المتدهور فيها . وقد قال فيه ان على مودل ان يجمع الجيش الأول والجيش المدرع الخامس فى حزام محصن حول باريس ، على أن يعزز ذلك الحزام فيما بعد بالجيش التاسع عشر المتقهقر من الجنوب الغربى ..

وكانت أولى المعجزات التى طلبها هتلر من ذلك القائد الـذى ينتظر منه تحقيق المستحيل هى ان يظل بأى ثمن سيد الموقف أمام باريس .. باريس التى كان جنوده يحترقون فيها ـ دون أن يدرى ـ منذ ثمانى ساعات .

***

٤

عندما وصل الأوبرشت « العقيد » هانز جاى الى مبنى بلدية نييى ورأى جنوده القتلى أمامه ، امتقع لونه وقرر اعـدام الاسرى الفرنسيين الذين اصطفوا امام الحائط وأيديهم فوق رؤوسهـم ، على الفور ٠ وكان بين أولئك الاسرى الذين اخرجهم الالمان من المبنى بعد أن اقتحموه بدبابة ، لويس برتى جزار حى نانتيـــو وجاره الصبى بيير لوجين ٠

ولكن قبل ان يصدر العقيد الغاضب أمره باطلاق النار على الأسرى ، تقدم منه مدير البلدية المعين من قبل حكومة فيشى ،وانبآه بان بين المصطفين امام الحائط بعض موظفى البلدية ، الذين ابقاهم الثوار داخل المبنى عندما احتلوه فى الصباح ٠ فسمح له جاى بان يخرج رجاله من بين الاسرى ٠٠ وفى هذه الاثناء كانت حدة غضبه قد خفت ، فعدل عن اعدام الأسرى ، وأمر بنقلهم الى المعسكر الالمانى فى شارع مدريد ٠

وتحت بدروم البلدية ، كان الحفر قد استمر فى حذر الى ان تم فتح فجوة فى الجدار ، أخذ الرجال المختبئون يخرجون منهـــا الواحد بعد الآخر الى المجارى التى غطتهم محتوياتها حتى الصدر ٠

فى المعسكر الالمانى بحى « نييى» صدر الامر الى لويس برتى وزملائه الاسرى العشرين بان يصطفوا فى دائرة ، ثم مالبث جندى ألمانى أن اخترق الدائرة وأخذ يمر بهم ، وكان ذلك الجندى أحد

الاثنين اللذين كان برتى قد اسرهما فى المقهى الواقع خلف مبنى البلدية منذ ست ساعات ..

وكان من الواضح ان امرا قد صدر اليه بالتعرف على الفرنسى الذى اعتقله مع زميله .

عندما رآه برتى قادما نحوه ، احس لشدة الخوف انه لم يعد قادرا على الوقوف على قدميه .. لكن الجندى الالمانى نظر فى عينيه ورفع يده الى وجهه فى حركة من يمسح بصاقا عن وجهه .. ثم واصل السير دون أن يأتى بأية حركة تنم عن أنه تعرف عليه .

***

من احدى نوافذ قصر لوكسمبرج ، وقف فرنسى آخر يراقب ثلاثة اسرى من رجال المقاومة يقادون الى حتفهم وهم يحملون المعاول التى سيحفرون بها قبورهم . كان ذلك الرجل هو بول باردوسائق سيارة النقل الذى نهب لحركة المقاومة مخازن طعام فرق المليشيا التابعة لفيشى ، والذى كان المفروض ان يسرق اليوم مستودعات اسلحتها ، مستخدما ــ كعادته ــ أوراقا مزيفة .

لكن مهمته اليوم انتهت بكارثة ، فقد فوجىء فى طريقه بنقطة تفتيش المانية ، فبلع جميع الاوراق المزيفة التى يحملها . غير أن الالمان ألقوا القبض عليه مع ذلك لانه لا يحمل أية أوراق تثبت شخصيته وجاءوا به الى هذه الغرفة فى قصر لوكسمبرج ..

فتح البـــاب وراءه ودخل منه رقيب ألمانى بدين ، هو فرانز المسئول عن « ميس » القصر . وقد دفع باردو أمامه فى الممــر المتجه الى المطبخ وهو يقول له :

ــ سوف تموت غدا . اما اليوم فسوف تنظف المطبخ .

***

عاد الجنرال فون شولتنز الى مكتبه بفندق « ميريس » بوجه متجهم بعد جولة طاف فيها ببعض شوارع باريس ، وشاهد خلالها

جثث ستة من جنوده الموتى الذين اصطادهم الثوار من كمين نصبوه لهم أمام محطة دورساى ..

وعند دخوله الى مكتبه سلمه العقيد فون أونجر رئيس أركان حربه قائمة بعدد ضحايا اليوم ، تبين منها انه قد فقد أكثر من خمسين قتيلا ومائة جريح .

استدعى الجنرال الذى استبد به الغضب مساعديه الرئيسيين الى مكتبه ، واستعرض أمامهم فى صـــوت هادىء حازم اجراءين يمكن أن يرد بأحدهما على ثورة باريس .

فاما ان ينفذ التهديد الذى كان قد وجهه الى عمدة باريس قبل ثلاثة أيام ، ويفرض عقوبات انتقامية صارمة على عدة أنحاء من المدينة .. أو يبطش بمبنى مديرية الشرطة الذى يبدو انه قلب الثورة بعمل دموى يقضى نهائيا على الثورة .

وبينما أخذ شولتتز يستفتى ضباطه فى أى من الاجراءين هو الأنسب ، ترامت الى آذانهم قادمة عبر النوافذ المفتوحة أصوات طلقات آتية من ناحيـــة مديرية الشرطة ، فقرر فون شولتنز مهاجمتها ..

واقترح ان يستخدم فى هذه العملية لواء من المشاة وعددا كبيرا من الدبابات ، ثم قرر علاوة على ذلك ان يطلب من سلاح الطيران قذف المبنى من الجو قبل ان يبدأ هجومه عليه .

والواقع انه اعتبر الدعم الجوى للعملية اساسيا . فانه سوف يبعث بدباباته الى مبنى مديرية الشرطة عبر اثنين من الكبـــارى المكشوفة هما كوبرى سان مشيل والكوبرى الجديد لكى تهاجـم المبنى من أضعف جوانبه . وهو يريد دك المبنى بوساطة الطائرات المنقضة قبل ارسال دباباته الى الكوبريين المفتوحين ، حتى لايبقى امام الدبابات غير ان تسير فوق الحطام . وبما ان سلاح الطيران

يرفض اطلاق طائراته في نور النهار فان عليه ان يبدأ هجومه اما عند الغروب أو عند الفجر •

وقرر فون شولتنز أن يهاجم بالدبابات والسيارات المصفحةعدة جيوب اخرى للمقاومة فى نفس الوقت الذىيهاجم فيه مديريةالشرطة لكى يعيد الهدوء الى المدينة بضربة قاصمة واحدة •

لم تبق الا مسألة واحدة هى تحديد موعد الهجوم • اقترح بعض الضباط جعله في ذلك المساء ، ولكن فون شولتنز نظر الى ساعته فوجد أنها قد بلغت الخامسة والنصف • معنى ذلك أناليل يكون قد هبط عندما تفرغ الطائرات من مهمتها ، وان دباباته سوفتهجم في الظـــلام • وتحت جنح الظـلام قد يهرب المعتصمون بمبنى المديرية •

لذلك أصدر فون شولتنز أمره بشن الهجوم فى صباح الغد ، بعد نصف ساعة من شروق الشمس • وطلب من رئيس أركانحربه العقيد فون أونجر الاتصال بقيادة سلاح الطيران والاتفاق معها على موعد الغارة •

وكان موعد شروق الشمس يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩٤٤ هو الساعة الخامسة والدقيقة الحادية والخمسين بتوقيت باريس •

***

فى المعسكر الالمانى بحى « نيبيى » وضـــع لويس برتى وزملاؤه فى سيارة نقل عسكرية •• ولكن الاسرى الذين اعتقلوا فى مبنى البلدية كانوا قد نقصوا واحدا ، هو بيير لوجين ابن الثمانية عشرة عاما الذى كانت زوجة برتى قد اقرضته مسدسا فى ذلك الصباح، ليتسنى له ان ينضم الى الرجال الذين هاجموا البلدية •

كان الفتى قد احتفظ بالمسدس ليرده اليها ، فكلفه ذلـك حياته • كان هو الاسير الوحيد الذى وجد معه الالمان سلاحا ؛ فقتلوه •

لم يعرف برتى الى اين تمضى السيارة به وبزملائه الى ان اقتربت من هدفها ، وهو قلعة تقع على قمة تل · كانت تلك القلعة هى سجن « مون فالريان » المخيف الذى يسمع لويس برتى منذ ثلاث سنوات اصداء طلقات الرصاص التى تتردد فيه تنفيذا لاحكام الاعدام فى المساجين ، من دكان جزارته على بعد ميل واحد منه ·

***

٥

رأى الرجلان من شرفة فندق« ميريس » فتاة جميلة تقطع حدائق «التويلرى» على دراجتها بينما أطار الهواء شعرها الاشقر، فقال فون شولتتز للواقف بجانبه :

ــ انى أحب هؤلاء الباريسيان . ستكون كارثة أن يضطر المرء إلى قتلهن وتدمير مدينتهن ..

فانتفض راوول نوردلنج القنصل العام للسويد وهو يسمع الجنرال يتفوه بهذه الكلمات بكل هدوء ، وسأل نفسه فى ذعر :هل يستعد هذا البروسى الجاف حقا للاقدام على عمل فى خطورة تدمير باريس ؟

ثم التفت الى فون شولتتز وقال له محذرا :

ــ اذا حطمت باريس فانك ترتكب جريمة لن يغفرها التاريخ ابدا .

فهز الجنرال كتفيه وقال :

ــ أنا جندى . اتلقى أوامر ، وانفذ تلك الأوامر .

بينما هما يتحادثان تصاعد صوت انفجار من وراء اللوفر الى يسارهما من المنطقة التى يقع فيها مبنى مديرية الشرطة المحاصر ، فتقلصت عضلات شولتتز واحس بموجة غضب عنيف ترتفع فى داخله . وقال متوعدا :

ـ سوف اخرجهم من مديرية شرطتهم • سوف اخرجهم بقنابل الطائرات !

فالتفت اليه نوردلنج الذى لم يكن يعلم أنه ينوى سحق مبنى المديرية بعد بضع ساعات ، وسأله فى دهشة :

ـ هل تدرك أن القنابل التى تخطىء هدفها سوف تسقط على كاتدرائية نوتردام وعلى « السانت شابيل » ؟ ••

فهز شولتتز كتفيه مرة أخرى • ان كون نوتردام على اقل من مائتى ياردة ووقوع « السانت شابيل » مباشرة امام مديرية الشرطة التى ينوى تحويلها الى حطام ، ليس من شأنه ••

وقال لنوردلنج :

ـ انك تعرف الموقف • ضع نفسك فى مكانى •• هل هناك حل آخر أمامى ؟

كان قنصل السويد العام قد جاء اليه عند الغروب من اجل ان يفعل ما طلبه منه الآن بالضبط •• من اجل ان يقترح عليه حلا آخر غير الذى يفكر فيه •

قبل ان يقرر زيارة قائد منطقة باريس بدقائق ، كان قد تلقى مكالمة تليفونية فى دار القنصلية بشارع « انجو » غير البعيد من فندق « ميريس » • وكان مصدر تلك المكالمة هو مبنى مديرية الشرطة ••

على الطرف الآخر من الخط كان صوت ملهوف يقول له متوسلا:

ـ ان وضعنا ميئوس منه ، ولم يعد لدينا ذخيرة تكفى لأكثر من دقائق قليلة . أليس هناك ما تستطيع أن تفعله ؟

بمجرد أن انتهت تلك المكالمة طلب نوردلنج مقابلة فون شولتتز ، وبينما كان فى طريقه اليه خطرت له فكرة ، عرضها الآن على الجنرال الالمانى •

اقترح عليه وقف اطلاق النار مؤقتا ، لاتاحة الفرصة لجمع القتلى والمصابين ..

واضاف انه اذا نجح وقف اطلاق النار ، فانه يمكن مد أمده .

اندهش شولتتز لاقتراح السويدى .. فطيلة الثلاثين عاما التى قضاها فى الجندية لم يحدث له ان اعطى لاحد هدنة أو طلب من احد هدنة .. ولكن عندما بدأت دهشته الاولى نزول ، أخذ يرى عددا من المزايا فى الاقتراح الجرىء الذى عرضه عليه السويدى .

كان هم شولتتز الاول فى تلك الليلة هو ان يجعل الهدوء يسود باريس . واذا كان اتفاق بوقف اطلاق النار كفيلا بتحقيق هذا الهدف فان لمثل هذا الاتفاق مزاياه اذن . انه سوف يعفى قواته من مهمة مقاومة الثورة ، ويتيح لها ان تتفرغ لما هو أهم . واذا نجح الاتفاق فلن يتعين عليه ان يستخدم المزيد من القوات فى الابقاء على طرق مواصلاته عبر المدينة مفتوحة .

ولكن الاهم من هذا هو ان الاتفاق ـ اذا نجح ـ سوف يتيح له ان يؤجل الهجوم على مديرية الشرطة الذى رتبه للفجر . انه يعلم ان ذلك الهجوم سوف يكون خطوة لا رجعة فيها .. سيكون بمثابة اعلان حرب على المدينة . وبعد ان يصدر امره الى الطائرات بضرب باريس ، لن يعود هناك مجال لأى تراجع . انه قرار خطير وحاسم ، وديتريش فون شولتتز لم يكن يحب اتخاذ قرارات حاسمة وخطيرة .

ان الاستقلال الذى تمنحه له قيادة باريس هذه ، هو تجربة جديدة بالنسبة له . لقد ظل الى ان عين فى منصبه الحالى ، جزءا من آلة الحرب الالمانية التى تحدد له هى كيف يدور ، وجميع قراراته ـ باستثناء التكتيكية غير الهامة منها ـ كان غيره يتخذها له . والآن وفى نفس اللحظة التى هزت فيها زيارته لراستنبورج ثقته فى الرايخ الثالث وفى زعيمه فان الظروف وضعته فى قيادة يتحتم عليه فيها ان يتخذ قرارات . انه يفضل تأجيل اتخاذها .

والاقتراح الذى عرضه عليه نوردلنج يعطيه الفرصة لأن يفعل ذلك .

قال شولتتز للقنصل السويدى انه اذا استطاع الذين يصدرون الأوامر فى مبنى مديرية الشرطة ان يظهروا خلال تجربة ساعة ان فى استطاعتهم ان يتحكموا فى رجالهم ، فسوف يوافق على ان يبحث موضوع عقد اتفاق لوقف اطلاق النار فى المدينة .

لكن كان هناك شىء يقلق فون شولتتز فيما يفعله . انه مخالف لروح الأوامر التى تلقاها بشأن باريس . وهو لايريد ان يعلم به الجنرال فلدمارشال مودل القائد العام فى الغرب .

لذلك استطرد قائلا لنوردلنج فى صوت منخفض :

ــ لى طلب واحد عندك . لا تربط اسمى بهدنتك ..

ثم رافق نوردلنج الى الباب وصافحه ، وبعد ذلك استدعى فون أونجر وقال له فى لهجة لاتسمح بالمناقشة : ان الهجوم على مديرية الشرطة قد تأجل فى الوقت الحاضر .

ثم غادر مكتبه الى غرفته ليمعن التفكير فيما اقدم عليه .

***

كان احد المعتصمين بمبنى مديرية الشرطة يقول لادجار بيزانى مدير مكتب مدير الشرطة الجديد فى يأس : ان الحلفاء سوف يدعوننا نذهب الى الجحيم . انهم سوف يتخطون باريس ..

عندما سطع النور الاحمر على لوحة التليفونات التى أمامه .. رفع بيزانى السماعة فجأة صوت نوردلنج قائلا ان الالمان وافقوا على عقد هدنة .

ترك بيزانى السماعة ورمى نفسه بين ذراعى ارمان فورنيه ، رقيب الشرطة العنيد الذى منع رجال الشرطة من الهرب .. وتمتم قائلا :

ــ شكرا لله . لقد انقذنا باريس !

٦

على بعد الف ومائتى ميل من باريس فى مطار جبل طارق الذى ساده الظلام ، كان الكولونيل « العقيد » ليونيل دى مارمييه يستعد للاقلاع بطائرته المطفأة الانوار ويده على قلبه ٠

كان بالطائرة ٩٥٠ جالونا من الوقود ، وهى كمية لم تحمل كمية فى ضخامتها من قبل ، كما ان الطائرة كانت تحمل وزنا يزيد بمقدار نصف طن على الاقل عن حمولتها ٠

ولكن الجنرال ديجول كان قد اصر على ان يغادر جبل طارق بطائرته الخاصة من طراز « لوكهيد لودستار » التى تحمل اسم « فرانس » فى الموعد الذى كان محددا من قبل لسفره ٠٠

كانت الطائرة الامريكية « القلعة الطائرة » التى نقلت ديجول من الدار البيضاء الى جبل طارق قد تعطلت احدى عجلاتها عند نزولها فى جبل طارق ، وكان اصلاح العطل سوف يستغرق اربعا وعشرين ساعة . ولكن ديجول رفض الانتظار رغم اشتراك رجاله مع السلطات البريطانية فى جبل طارق ، فى محاولة اقناعه بان السفر فى طائرته الخاصة ذات المحركين ينطوى على اخطار جسيمة ٠

عندما ارتفعت الطائرة عن الارض اخيرا ، تنفس قائدها الصعداء ٠ فقد كان يخشى ان تسقط فى البحر الذى ينتهى عنده ممر الطيران قبل ان تستطيع التحليق بحمولتها الثقيلة ٠

كان على الطائرة ان تطير فوق شاطىء البرتغال وجزء من شاطىء اسبانيا ، ثم تطير بعد ذلك بمحاذاة شواطىء فرنسا المحتلة الى ان

تلتقى بمجموعة من طائرات السلاح الجوى البريطانى تنتظرها عند طرف بريطانيا الجنوبى ·· وكانت تلك أطول رحلة قطعتها أو سوف تقطعها فى حياتها · وكان يجب المحافظة على كل قطرة من الوقود الذى تحمله لكى تستطيع اتمام رحلتها ·

داخل الطائرة كان ديجول يجلس صامتا كعادته ، وفى فمه سيجار مشتعل ·

***



الهدنة المزعزعة التى توصل راوول نوردلنج قنصل السويد العام الى عقدها فى الساعة الثالثة من صباح يوم الاحد ٢٠ من أغسطس ، نجحت فى أن تكبت الى حين العنف الذى ساد باريس فى اليوم السابق .

رودلف رايس ، رقيب الشرطة العسكرية الالمانية ، الذى قضى اليوم السابق يطلق النار على رجال الشرطة الفرنسيين المحاصرين داخل مبنى المديرية .. ركب اليوم سيارة شرطة فرنسية بين اثنين من الرجال الذين كان يحاول قتلهم بالامس ؛ واخذ ثلاثتهم يطوفون شوارع باريس معلنين اتفاق وقف اطلاق النار الذى توصل اليه نوردلنج .

الباريسيون والباريسيات فى جميع أنحاء مدينتهم هرعوا الى جدران الشوارع التى اصبحت الآن هى جرائدهم ، ليقرأوا الدفعة الأولى من الملصقات المتناقضة التى ملأتها .. والتى اعلن بعضها الهدنة ، وهاجمها بعضها .

عند تقاطع شارع الاوبرا وشارع الاهرام ، جرى صاحب احد المقاهى نحو السيارة التى يستقلها رايس ورفيقاه الفرنسيان ، ومعه زجاجة من النبيذ الاحمر وثلاث كئوس . وامام النظرات المشدوهة للمارة ، قرع الجندى الالمانى والشرطيان الفرنسيان كئوسهم ببعضها . وشربوا نخب نجاح اتفاق وقف اطلاق النار الذى كانوا يعلنونه .



رأى الكسندر بارودى وبقية زعماء الديجوليين فى باريس ، فى الهدنة التى كان رقيب الشرطة العسكرية رايس وزميلاه يعلنونها فرصة لا تعوض لانقاذ باريس من مصير مشابه لذلك الذى تعرضت له وارسو ٠٠ ووسيلة لم يكونوا يطمعون فيها لوقف الثورة التى عجزوا عن منع اشتعالها ٠ فراحوا يعملون بحماسة واندفاع على فرض الهدنة على المدينة ، ولم يتركوا سبيلا يوصلهم الى هدفهم الا ولجأوا اليه ٠٠

تلقت جميع قيادات حركة المقاومة فى طول باريس وعرضها مكالمات تليفونية غامضة تنقل اليها أمرا بالامتثال لاتفاق وقف اطلاق النار ، وكثيرا ماكان ناقلو هذا الامر يزعمون أنهم يتحدثون باسم الكولونيل رول الشيوعى ، قائد حركة المقاومة فى باريس .

ومن لندن وجه الجنرال بيير كوليج القائد العام للمقاومة الفرنسية حديثا الى المدينة بواسطة محطة الاذاعة البريطانية ،حذر فيه من أن باريس لن تواجه خطرا أكبر من أن يستجيب أهلها لنداء يدعوهم فى الوقت الحاضر الى الثورة ٠٠

شارل لويزيه الذى لم تمض على توليه منصب مدير الشرطة أربع وعشرون ساعة ، أصدر أوامره الى رجاله بعدم اطلاق النار الا اذا تعرضوا للهجوم أو الاستفزاز كما وضع سيارات الشرطة تحت تصرف القنصل نوردلنج لاستخدامها فى اعلان قيام الهدنه.

وصاح جاك شابان ـ دلماس القائد العسكرى للديجوليين فى فرنسا ، فى جمع من قادة المقاومة بينهم عدد كبير من مساعدى الكولونيل رول نفسه :

ـ ان رول ورجاله يقودون باريس الى مذبحة !

وبذل بارودى وشابان ـ دلماس جهودا مستميتة لحمل اللجنة القومية للمقاومة على اقرار الهدنة ٠

عرض بارودى على اللجنة الشروط الاربعة للهدنة التى كان قد توصل للاتفاق عليها مع الجنرال فون شولتتز بواسطة قنصل السويد نوردلنج ، على انها نصر لحركة المقاومة ٠

كانت تلك الشروط تقضى باعتبار رجال حركة المقاومة بمثابة جنود نظاميين وتنص على أن يعامل الالمان من أسروهم منهم، معاملة أسرى الحرب ٠٠ كما كانت تقضى بان يقبل الالمان بقاء رجـــال المقاومة فى المبانى العامة التى احتلوها ٠٠ وكانت تقضى ايضـــا بان يمتنع رجال المقاومة عن مهاجمة المراكز الالمانية فى المدينة ، وبأن يتمتع الالمان بحرية المرور الى سلسلة من الطرق الرئيسية المحددة اللازمة لتحركات قواتهم ٠

وقال بارودى بعد عرض هذه الشروط :

ـ عندما توقع هدنة بين جيش كان الى عهد قريب اقوى جيوش العالم وبين مجموعة من رجال حركة المقاومة لم تكد تبدأ اطلاق النار ، فان الالمان هم الذين يلحقهم العار بتوقيع هذه الهدنة ، وليس نحن ٠٠

وعزز الجنرال شابان ـ دلماس كلام زميله بشرح حقيقة عسكرية قاسية ٠٠

أوضح ان نصف جيش ألمانى على وشك أن يتقهقر عبر باريس ٠٠ وقال ان معنى ذلك هو أن لدى الألمان من القوات والمعـدات

ما يكفي لأن يحدثوا فى باريس كل الدمار الرهيب الذى يمكن ان يطمع فيه عقل هتلر المختل ..

وبدا ان بارودى ورفاقه سوف ينتصرون ، وتصوروا انهم « سيضعون فى ثلاجة » الثورة التى لم يتمكنوا من منع قيامها .

وفى الساعات الأولى من الصباح ، اخذت هدنتهم تنتشر فى جميع انحاء باريس . فملأ الأهالى الشوارع التى كانت شبه خالية بالأمس . وخيل لكثيرين ان باريس قد تم انقاذها .

***

كاد وقود الطائرة « فرانس » ان ينفد بعد ان ظلت تائهة أكثر من ساعة فوق مكان ما من الشاطىء الانجليزى وسط الضباب والمطر والرياح العاصفة ، تبحث عبثا عن الطائرات المقاتلة البريطانية التى كان المفروض أن تقودها الى مرفأ الامان فى نورماندى ..

وفى النهاية قرر قائدها أن يهبط بها فى اى مكان صالح للهبوط يعثر عليه على الشاطىء البريطانى ، وبدأ يهبط فعلا.

بعث ديجول بياوره ليسأل قائد الطائرة عما يجرى ، وعندما عرف ان الطائرات البريطانية خذلته وتركت طائرته لمصيرها .. تنهد وتساءل :

ــ ماهى الحكاية هذه المرة ؟.. الانجليز ؟ .. الامريكان ؟.. أم الاثنان معا ؟!

ولكنه عندما ابلغ بان قائد الطائرة ينوى الهبوط على الشاطىء الانجليزى رفض ان يسمح بذلك ، وأصر على الا تهبط طائرته الا على الشاطىء الفرنسى .

عندما وصلت الطائرة أخيرا بما يشبه المعجزة الى الشاطىء الفرنسى ، كان قد تبقى فى خزان وقودها ما يكفيها لان تستمر فى الطيران لمدة دقيقتين اخريين فقط .. فهبط قائدها فى مطار

عسكرى للحلفاء أعد على عجل بالقرب من شبربورج ، ومن هناك استقل الجنرال ديجول ومرافقوه سيارة الى شبربورج ٠

فى ذلك الميناء المهدم لم تعثر المجموعة المرهقة الا على شفرة حلاقة واحدة ، اضطرت الى ان تكتفى بها ٠ وكان ديجول أول من استعملها ، ثم طافت على بقية رجاله وفقا لتسلسل رتبهم ٠

بعد ذلك كلف ديجول ياوره بان يفعل شيئين : ان يأتيه بورق ليكتب عليه الخطاب الذى ينوى ان يلقيه قريبا ، وان يعمل على تحديد موعد له مع ايزنهاور باسرع ما يمكن ٠

فى مديرية شرطة شبربورج ؛ قال الجنرال كونيج لديجول بعد ذلك بدقائق :

ــ لقد قامت ثورة فى باريس ٠٠

فصمم ديجول على ان يحصل من ايزنهاور قبل هبوط الليل على قرار بالزحف على باريس ٠

***

ترك بارودى مائدة الغداء قبل ان يكمل غداءه ٠٠ لقد تأخر حمل حقيبة أوراق ممتلئة بالوثائق ، وخرج ليجتمع بزميله جاك شابان ــ دلماس ٠٠

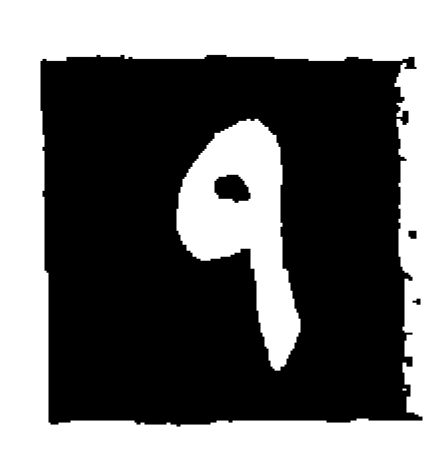
هو ايضا كان أمامه هدف يجب ان يحققه قبل هبوط الليل ٠ كان أمله ان يحافظ على باريس لديجول وللتاريخ بالوسيلة الوحيدة التى بدت فى ظهر ذلك اليوم قادرة على انقاذها من الدمار ، وهى الهدنة التى عقدها نوردلنج ٠

كان فى انتظاره بالباب سيارة « ستروين » سوداء تقودها فتاة حسناء ترتدى بزة زرقاء ، وعلى ذراعها شريط يحمل صليب لورين ، شعار فرنسا الحرة ٠

قال مساعده « سانت فال » لنفسه فى نشوة وهو يراه يركب السيارة :

ـ ما ابدع هذا ! .. لقد اصبح التحرير قريبا الى حد ، بتنا معه نستطيع التنقل فى سيارات يقودها سائقون !

***



فى قلعة بنيت تحت الأرض داخل محجر صخرى مهجور خارج قرية مارجيفال التى تقع على بعد ستين ميلا من باريس تقريبا جلس الجنرال ـ لويتنانت « اللواء » هانز شبيدل فى مكتبه ، ينتظر عودة القائد الجديد للقوات الألمانية فى الجبهة الغربية ، الجنرال فلد مارشال فالتر مودل .

كانت تلك القلعة التى أصبحت المقر الجديد للقيادة الألمانية فى الغرب هى المكان الذى كان هتلر ينوى أن يتولى منه بنفسه منذ أربعة أعوام ، قيادة عملية غزو بريطانيا .. والآن أصبحت المكان الذى قدر لمودل أن يشرف منه على تقهقر الجيوش الألمانية من فرنسا .

خلال الثمانى والأربعين ساعة الماضية التى مرت على خروج مودل ليتفقد الجبهة التى عين مؤخرا لقيادتها ، كانت الأوامر القادمة من القيادة العليا لهتلر قد تراكمت على مكتب شبيدل ، رئيس هيئة أركان حرب مودل . وكان المصير الكئيب الذى حدده هتلر لعاصمة فرنسا واضحا فى تلك الأوامر .

لكن شبيدل يعلم أنه لا يملك أن يفعل شيئا ليمنع عنها هذا المصير . بل انه يعرف أنه متورط فى مؤامرة ٢٠ يوليو الى حد يجعله يتوقع أن تكون أيامه فى هذه القيادة قد أصبحت معدودة .

فتح باب المكتب واندفع مودل داخلا منه ، فاندهش شبيدل لرؤيته .. كان الاعياء وخيبة الأمل يبدوان بشكل واضح على القائد النشيط الممتلىء ثقة وتفاؤلا فى العادة ..

ارتمى مودل على مقعد ، ووصف الرحلة التى عاد منها فى الحال بأنها كانت كابوسا لا يقل هولا عن أبشع ما مر به فى الجبهة الشرقية .

لقد أذهله أن يجد الموقف أسوأ بكثير مما كان يتوقع . فى كل مكان وجد القوات مرهقة ويائسة .. وخط القتال وجده متداعيا ومنهارا .

وعرف القائد الذى ينتظر هتلر منه المعجزات ، أن أول معجزة عليه أن يحققها هى أن يعيد النظام الى هذه الجبهة الغربية التى عمتها الفوضى . وأدرك أن عليه أن يقامر بقطاع ما من قطاعات هذه الجبهة الشاسعة المتفككة ، ليكسب الوقت اللازم له لاعادة تجميع قواته المشتتة .. فاختار أن يقامر بباريس ، على الرغم من الأوامر المحددة التى تلقاها من هتلر — الرجل الذى يحمل له ولاء شبه أعمى — وعلى الرغم من كوم الرسائل الذى سلمه اليه شبيدل .

وكان هناك اعتباران دفعاه الى اتخاذ قرار المقامرة بباريس :

أولهما أن شولتتز كان قد تعمد اخفاء حقيقة الاضطرابات التى عمت باريس عنه منذ بدايتها .. فالتقرير الصباحى الذى بعث به قائد باريس فى الساعة ٨,٢٠ من صباح يوم الأحد العشرين من أغسطس ذاك ، كان يذكر أن العاصمة الفرنسية قد قضت ليلة هادئة . وتقارير اليوم السابق — وهو اليوم الذى عمت فيه الثورة باريس — كانت هى الأخرى مطمئنة . وهكذا لم يجد مودل فى

التقارير التى عرضت عليه ذلك الصباح ما يوحى بأن فى باريس أية مشاكل أكبر من بعض الاعمال « الارهابية » القليلة *

أما ثانى الاعتبارات التى أملت على مودل قراره ، فقد كان ما جاء فى التقرير الاسبوعى المعد بعناية لرئيس المخابرات فى قيادته ، وكان ذلك التقرير قد انتهى اعداده فى الليلة السابقة .

كان التقرير يذكر — فى تقديره لنوايا الحلفاء — أن الحلفاء يستعدون للتقدم شرقا على طريق « كان — ليزيو » ، وغربا فى الاتجاه الغربى الشمالى من « درو » بقصد محاولة تطويق القوات الألمانية غربى نهر السين تحت باريس .

كما تنبأ التقرير بأن الحلفاء سوف يزحفون شرقا من «أورليان» جنوبى باريس .

وختم التقرير تقديراته لمشروعات الحلفاء بقوله : أن باريس لا تتعرض فى الوقت الحاضر لخطر قيام الحلفاء بهجوم كبير عليها .

وأكد ذلك لدى مودل ، ما سجلته التقارير الصباحية التى وجدها فى انتظاره من أن قطاع الجبهة الممتد أمام عاصمة فرنسا ، لم يشهد غير أعمال استكشاف محدودة .

قال مودل لرئيس هيئة أركان حربه ان كل شىء يؤكد ما كان قد توصل الى الاقتناع به ، وهو أن الحلفاء لاينوون القيام بهجوم مباشر على باريس . وفى ظل اطمئنانه الى أن المدينة ليست معرضة لأى خطر مباشر ، قرر أن يكرس جهوده الأولى لتخليص قواته المهددة بالتطويق غربى السين تحت باريس .

---

* بعد مرور عشرين سنة على هذه الأحداث ، سأل المؤلفان الجنرال فون شولتتز عن السبب الذى دعاه الى أن يخفى عن مودل انباء الثورة التى اشتعلت فى باريس ، فقال لهما انه كان يخشى مثل معظم قواد المانيا غضب مودل وطبيعته الهوجاء ، كما أنه لم يكن يريد لفت انتباهه اليه او الى باريس .

سوف يسحب هذه القوات عبر السين قبل ان يتمكن الحلفاء من اصطيادها فى الفخ الذى أعدوه لها .. وبعد ذلك سوف يبدأ فى اعداد « الحزام المحصن » الذى أمره هتلـــر بأن يجعله أول أعماله .

عندما تصل التعزيزات التى وعدت بها أوامر القيادة العليـا لهتلر ـ الفرقتان المدرعتان ٢٦ و ٢٧ ـ فانه يمكن نقلها مع أية عناصر يمكن الاستغناء عنها من الجيش السابع ، عبر باريس الى موقع دفاعى مركز عند أطرافها .

ثم أخذ مودل يملى سلسلة الاوامر التىتضعأول القرارات التى اتخذها فى قيادته الجديدة ، موضع التنفيذ ..

ولكنه أهمل شيئا واحدا .. لم يبلغ قائده فى منطقة باريس أن القيادة العليا لهتلر قد خصصت له فرقتين مدرعتين هما الآن فى طريقهما من الدانمرك الى فرنسا ..

وسوف تكون لهذا الإهمال عواقب خطيرة .

بعد أن خرج مودل من مكتب رئيس هيئة أركان حربه ، وقف شبيدل الذى يحمل درجة دكتوراه فى الفلسفة من جامعة «توبنجن» ساهما فى وسط المكتب ..

على جدران المكتب ، كان قد علق اللوحات المحفورة الثلاث التى كان قد اشتراها منذ أربعة عشر عاما عندما كان يدرس فى جامعة السوربون . طوال هذه الأعوام كانت هذه اللوحات قد تبعته أينما ذهب .. حتى الى هذه القلعة الكائنة تحت الأرض . وكانت هذه اللوحات التى حفرت فى القرن الثامن عشر تصور حدائق التويلرى وقصر فرساى وكاتدرائية نوتردام ..

وقد تساءل شبيدل بينه وبين نفسه وهو ينظر الى هذه اللوحات ما اذا كان الدمار سوف ينزل بالأماكن التى تصورها أيضا ، كجزء من الكارثة المجنونة التى قاد هتلر أوربا اليها .

***

ثم تكن هناك لوحات تزين جدران مقر قيادة الجنرال ديتريش فون شولتتز بفندق « ميريس » . ووراء مكتبه وفى مواجهه خريطة باريس ، كان ياوره الكونت فون أرنيم قد علق خريطة ضخمة لجبهة القتال فى نورماندى . على تلك الخريطة كان فون شولتتز يستطيع أن يتابع سير الهجوم ذا الشعبتين الذى سوف يقوم به الحلفاء من حول باريس ، وفقا لما تنبأ به تقرير مخابرات القائد الالمانى الاعلى فى الغرب .

كان فون شولتتز نفسه قد توقع هذا أيضا ، وكان يقدر أن هجوم الحلفاء على باريس نفسها لن يحدث قبل أوائل سبتمبر .

عندما يحدث ذلك الهجوم ، فان فون شولتتز سوف يدافع عن باريس . وقد أصبح ذلك الجنرال البروسى القصير ندرك الآن أن مهمته سوف تكون كريهة للغاية .. ولكنه سوف يقوم بها على اية حال .

انه يدرك أن فى نية هتلر أن يحول باريس الى ميدان قتال وأن يجعل المعارك تدور فيها من بيت الى بيت . وسوف يؤدى ذلك الى تدمير المدينة والى الحاق أضرار لا حصر لها بها . ولكن شولتتز اضطر الى أن يعترف بأن الفكرة من الناحية العسكرية المحضة ، سليمة .

تنفيذها بالشكل الذى يريده هتلر يتطلب خمس فرق ، وهو يعرف أنه لا يمكن أن يحصل على هذا العدد من القوات من جيوش الغرب المهلهلة . غير أنه يستطيع بثلاث فرق أن يحول باريس الى

ميدان حرب فظيع يمكنه أن يربط العدو لعدة أسابيع ، وأن يحول المدينة فى الوقت نفسه الى أكوام من الحطام ..

وسوف تكون تلك نهاية غير مجيدة لحياته العسكرية ، ولكن فون شولتتز كان يعلم أنه سوف يتعين عليه أن ينفذ المطلوب منه عندما توضع تحت قيادته القوات اللازمة .. ولسوف ينفذه .

قطع على الجنرال البروسى البدين القصير تفكيره المتجهم ، رنين التليفون الاسود على مكتبه .. وهو التليفون الذى يتلقى بوساطته المكالمات المباشرة من القيادة الالمانية العليا فى راستنبورج ، ومن برلين ..

كان الجنرال — اوبرشت الفريد يودل رئيس هيئة أركان حرب هتلر يطلبه للمرة الثالثة ، وكانت نبرات صوته الحادة توحى بأنه فى حالة غضب شديد .

قال له أن الفوهرر يريد أن يعرف منه شخصيا لماذا لم تتلق القيادة العليا حتى الآن أى تقرير عن أعمال التــدمير التى أمرت بتنفيذها فى منطقة باريس .

فأقلق سؤاله فون شولتتز وأحرجه .

ان خبراء التدمير الاربعة الذين أرسلتهم اليه برلين قد أتموا عملهم ذلك الصباح . وفى مكتبــه الآن التصميمات والرســوم والخرائط التى أعدوها بعناية لنسف ما يزيد على مائتى مصنع . وهؤلاء الخبراء سوف يعودون عما قريب الى برلين ..

لم يعد فى امكانه أن يستر تقاعسه فى الشروع فى عمليــات التدمير ، وراء ادعاء أن استعداداتهم لم تنته ..

لقد وضعه الرجل النافد الصبر على الطرف الآخر من الخط فى مصيدة ، فاضطر شولتتز الى أن يذكر له المبرر الوحيد الموجود لديه ..

لكنه ما كاد أن يفعل ذلك حتى ندم ٠

قال ليودل أنه لم يستطع البدء فى تنفيذ عمليات النسف لأن رجاله كانوا منهمكين فى مقاومة الاضطرابات التى أثارها « الارهابيون » فى جميع أنحاء العاصمة الفرنسية .

كاد يودل أن يصعق عند سماع ذلك ٠٠ فقد كانت كلمات شولتتز هذه هى أول اشارة تتلقاها القيادة العليا عن مدى الخطورة التى آل اليها الوضع فى باريس ٠

ظل يودل صامتا مشدوها لحظة طويلة ٠ لقد خرج فى الحال من الاجتماع اليومى الاول لهتلر ، ولا تزال فى يده الاوراق التى سجل عليها أوامر الفوهرر الأخيرة ٠٠ لقد كرر هتلر فى هذا الاجتماع تأكيد الأهمية العظمى للدفاع عن باريس ، وأشار باتخاذ جميع الاجراءات اللازمة لذلك ٠

أخيرا قال يودل لشولتتز أن الفوهرر سوف يغضب غضبا شديدا عندما يعلم أن اضطرابات قد نشبت فى باريس ٠ ونبه قائد حاميتها الى أن عليه أن يقوم بكل ما فى وسعه لاعادة النظام الى المدينة ٠

ثم أضاف يودل وهو يختار كلماته بعناية ويتحدث فى صوت رزين جاف لينقل الى فون شولتتز المغزى الكامل لما يقول :

ـ مهما حدث فان الفوهرر ينتظر منك أن تقوم بأوسع تدمير ممكن فى المنطقة التى تشملها قيادتك ٠

***

فى خيمة الخرائط بمقر قيادته المتقدم فى جرانفيل ، عند قاعدة شبه جزيرة كوتنتان ، وقف القائد الأعلى لقوات الحلفاء فى أوربا الجنرال دوايت ايزنهاور ينتظر فى صبر وتصميم قدوم زائره ٠

كان يخيل اليه أنه يعرف تماما ما الذى يريده منه شارل ديجول فى هذا اليوم الممطر من أيام أغسطس .. انه يريد باريس .

لكن ايزنهـــاور كان مصـــمما على أن الوقت لم يحن بعـد لكى يحصل عليها ٠

كان أيزنهاور قد سمع منذ ديجول منذ ساعات بنشوب القتال فى باريس . وكان قد غضب لذلك غضبا شديدا ، فبالنسبة له كانت ثورة باريس تخلق وضعا لا يريده ويحرص على تحاشيه .. وضعا غير خاضع لسيطرة الحلفـــاء ، وقد يضطرهم الى تغيير خططهم قبل أن يصبحوا مستعدين لذلك .

وكان أيزنهاور واثقا من أن ديجول قادم الى مقر قيادته المتقدم لمحاولة حمله على تغيير تلك الخطط .. وهو أمر لايرضيه .

انه يرى فيه مثلا آخر تتجلى فيه عادة ديجول المتعبة « فى أن يحاول حملنا على تغيير خططنا بحيث تتـــلاءم مع احتيـــاجاته السياسية » .

وكانت الاعتبارات السياسية فى باريس ثانوية الأهمية بالنسبة لهذا الجنرال الامريكى الذى يقود جيوش الحلفاء .

كان له هم واحد ٠ هو محاربة الالمان .. ولن يسمح لشىء . ولا حتى لباريس ، بأن يحد من اندفاع هجومه عليهم ٠

وعندما وصل اليه وقع خطوات ديجول وهو قادم نحوه ، أقسم من جديد أنه لن يسمح لنفسه « بأن يتورط فى أى التزام تجـاه باريس » ٠

دخل ديجول خيمة القائدالاعلىللحلفاء وأمارات التجهم والعناد مرتسمة على ملامحه ٠

لقد عاد الى وطنه فى ذلك الصباح فى وجه متاعب ومخاطر شتى ، من أجل أن يقود بلاده .. وهى بلاد يعـــرف ملايين من الناس فيها صوته ، ولكنهم لا يعرفون وجهه ٠ انه شبح بالنسبة

لهذه الملايين . مثل أعلى .. وقد أصبح عليه الآن أن يتقدم بلحمه ودمه ليتجسد فيه المثل الاعلى الذى ينبغى أن يتحول الآن الى حقيقة سياسية .

بالنسبة له ، كانت الاعتبارات السياسيه فى باريس ذات أهمية عظمى . ومع شروع الشيوعيين فى السعى الى السلطة ، أصبحت العاصمة ضرورة حتمية لديجول من الناحيتين الشخصية والوطنية .

عندما دخل ديجول خيمة ايزنهاور لم يكن أقل تصميما منه على ضرورة أن تنتصر ارادته فى ذلك الاجتماع .

***

جلس الكولونيل دى مارمييه قائد طائرة ديجول الخاصة « فرانس » فى مقصورة القيادة بالطائرة ينظر الى الرجال الثلاثة وهم يسيرون فوق الحشائش الطويلة نحو الطائرة . كان يتقدم الآخرين بخطوتين ديجول ؛ الذى سار وحده ويداه معقودتان خلف ظهره .

وبدا يومها ديجول لقائد طائرته ـ وهو يسير منحنيا رأسه قليلا وكتفاه متراخيتان ـ « أكثر حزنا وانعزالا » مما رآه فى أى وقت آخر .. وكما لو كان ثقل الدنيا بأسرها قد استقر فوق كتفيه .

كان شارل ديجول قد فشل .. لم يوافق ايزنهاور على تعديل خططه وعلى الزحف على باريس فورا .

وكان قد تناول الموضوع رأسا فى اجتماعهما ..

مضى آيزنهاور ينتقل من خريطة الى خريطة شارحا لديجول أهدافه وخططه . ولم تكن الخطط تحدد موعدا لتحرير باريس ..

فطلب ديجول على الفور ـ كما ذكر أيزنهاور فيما بعد ـ اعادة النظر فى موضوع باريس . ولم يحاول أن يلف أو يدور وانما ذكر

ان المدينة تواجه تهديدا جديا من الشيوعيين ، وحذر القائد الاعلى للحلفاء من أنه اذا تأخر فى دخول باريس فانه يخاطر بأن يجد فيها بعد ذلك « موقفا سياسيا سيئا للغاية ، قد يكون معرقلا لمجهود الحلفاء الحربى » .

ولكن على الرغم من التقدير الكبير الذى يحمله أيزنهاور لاحكام ديجول فقد رفض أن يغير خططه .

شك ديجول فى أن وراء تردد أيزنهاور فى أن يفعل ذلك أسبابا سياسية .. وقد سجل فى مذكراته فيما بعد الآتى :

« شعرت بأن أيزنهاور يشاركنى وجهة نظرى ، ولكنه لم يكن يستطيع بعد أن يفعل شيئا ، لأسباب لم تكن كلها استراتيجية » .

وكان ديجول يشير بذلك الى اقتناعه بأن حكومة واشنطون قد أيدت المناورات السياسية اليائسة التى قامت بها حكومة فيشى فى أيام حياتها الأخيرة .

كان الرد الذى تلقاه ديجول من ايزنهاور يضعه فى أزمة عنيفة ، ويجبره على أن يواجه قرارا خطيرا . وقبل أن يغادر ديجول مكان الاجتماع كان قد ألمح الى الأمريكى العابس الذى وقف أمامه بما قد يكون عليه ذلك القرار .

كان ديجول قد أبلغ ايزنهاور بأن تحرير باريس على أعظم قدر من الأهمية من الناحية الوطنية الفرنسية بحيث أن ذلك قد يجعله مستعدا ، اذا اضطر الى ذلك ، لأن يسحب الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية من قيادة الحلفاء ، ولأن يرسلها بسلطته وحده الى باريس .

كانت باريس بالنسبة لديجول حاسمة الى حد ، كان مستعدا معه لأن يمزق أربعة أعوام من وحدة الحلفاء فى سبيل الحصول عليهـا .

لكن ايزنهاور لم يحمل تهديده محمل الجد .. فاكتفى بالابتسام عندما قال ديجول أنه قد يسحب الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية من قيادة الحلفاء ويكلفها بالزحف على باريس على مسـئوليته الخاصة ..

فقد كان ايزنهاور مقتنعا بأن تلك الفرقة لاتستطيع أن تتحرك مسافة ميل واحد الا بأمر منه .. ولو خرجت على طاعته فانه يمكنه أن يشل حركتها تماما عن طريق قطع الذخيرة والتموين والوقود عنها ..

عندما وصل ديجول الى باب الطائرة ، التفت الى ياوره ووجه اليه سؤالا واحدا هو :

– أين الجنرال لكلير ؟

وقد كان الجنرال لكلير هو قائد الفرقة المدرعة الفرنسـية الثانية .

***



بالنسبة لقائد حركة المقاومة الشيوعى فى باريس ، الكولونيل رول ، كانت الهدنة التى عقدها القنصل السويدى نوردلنج والتى بدأت تثبت أقدامها فى المدينة ، عملا من أعمال الخيانة ، ومنـــذ أن علم بأمرها عن طريق مكالمة تليفونية تلقاها فى الصباح الباكر ، كرس جهوده كلها لخرقها .

ولم يكن رول ينظر الى الهدنة على أنها خيــانة من الناحية السياسية فقط ، ولكن أيضا من الناحية الشخصية . لقد ظل خلال أربع سنوات من القتال الفردى المستمر ينتظر هذه اللحظـة التى يقود فيها معركة مكشوفة علنية ضد محتلى بلاده .. وهو لن يسمح لأحد الآن بأن يحرمه من هذه المعركة .

ومثلما لجأ خصومه الديجوليين الى كل أسلوب لفرض الهدنة . فقد لجأ هو أيضا الى كل وسيلة لتحطيمها .

أصدر أوامر الى جميع مجموعات المقاومة التى يسيطر عليهـا الشيوعيون بأن تهاجم الالمان أينما وجدتهم ، كان مصمما على الا يدع صوت اطلاق النار يختفى من شوارع باريس ، فاختفاء هذا الصوت يعنى أن الهدنة قد قبلت .

ولتأييده ، أخذ الشيوعيون يملأون جدران باريس منذ الظهر بآلاف الملصقات التى تهاجم اتفاق وقف اطلاق النار على أساس أنه خدعة ترمى الى « القضاء على الطبقات العاملة فى باريس » وتهدف

الى « تمكين أولئك الذين تحركهم كراهية الشعب والخوف منه من أن يعقدوا صفقاتهم القذرة » ٠

وكان ميدان التنافس بين الديجوليين والشيوعيين هو مبنى مديرية الشرطة ٠ هناك تصارع الفريقان على السيطرة ، ودارت بينهما مناقشات كادت تبلغ حدتها حدة الاشتباكات التى وقعت بينهم وبين الألمان بالأمس ٠ كان كل منهما يحاول بكل طريقة حمل المعتصمين بالمبنى على تأييد وجهة نظره ٠

فى احدى حجرات المبنى كان أحد كبار الديجوليين يتوسل الى الكولونيل رول ان يكف عن محاولة حمل رجال المقاومة على استئناف القتال ، على أساس أن استمرار الثورة الذى يصر عليه الشيوعيون بغية خدمة أهدافهم السياسية،سوف يؤدى الى تدمير باريس والى قتل مائتى ألف من أبنائها على الاقل ٠

فنظر اليه رول فى ازدراء ، ثم ضرب المكتب الذى كان يجلس أمامه بقبضة يده فى عنف وهو يصيح :

ـ ان باريس تساوى حياة مائتى ألف ضحية ٠

***

شيئا فشيئا ، ونتيجة لتحريض رول الملــح ، استعادت الثورة الاندفاع الذى كانت قد فقدته خلال ساعات النهار الاولى٠ وصوت البارود الذى اختفى من شوارع باريس على نحو ملحوظ فى الصباح ، عاد يملؤها ٠

أخذت تشكيلات الشيوعيين الفدائية المنظمة تفتح نيرانها على الدوريات الالمانية ، وأخذ الالمان الذين كان كثيرون منهم ينظرون باحتقار الى هدنة شـــولتتز ، يردون على نيران الفرنسيين فى حماسة ، وفى حالات كثيرة كان الالمان هم الذين جددوا اطـــلاق النار ٠

انهارت الهدنة تماما ، وعادت باريس مسرحا للقتال ٠

وأخذت المدينة تنظم نفسها ٠ المطابع المخفية التى كانت تطبع صحف حركة المقاومة السرية ، بدأت تصدر نشرات تشرح كيفية صنع قنابل « كوكتيل مولوتوف » وتعلم اساليب اقامة المتاريس فى الشوارع ٠

وصيدليات باريس التى تحتوى على مادة كلورات البوتاسيوم أصبحت مستودعات أسلحة . والمستشفيات التى كان قد تم تنظيمها منذ مدة سرا ، أصبحت تحت اشراف حركة المقاومة .. وفى المنازل والحوانيت ، أقام طلبة الطب وأصدقاؤهم من الشباب مراكز للاسعاف ٠ وحملة النقالات الذين كان معظمهم من الفتيان والفتيات الذين تطوعوا لهذا العمل ، اتخذوا لأنفسهم مواقف فى طول المدينة وعرضها ٠٠

ومن« الهال » ـ سوق باريس الكبير ـ استولى أعضاء حركة المقاومة على كل المواد التموينية التى وجدوها ، وأنشأوا شبكة من المطاعم التى تقدم للجوعى ولأرباب البيـــوت الذين يعجزون عن الحصول على الطعام وجبة وحيدة يومية من الحساء الساخن ٠

ولكن لم يكن فى المدينة التى تحولت بأسرها الى خلية نحل ، مكان واحد نظمت فيه اعمال المقاومة بقدر من الجاذبية يفوق ذلك الذى تجلى فى مبنى رمادى مربع يقع فى ميدان « الباليه رويال » .. هناك فى « بيت موليير » حول رجال ونساء فرقة « الكوميدى فرانسيز » ـ فرقة المسرح القومية الفرنســـية ـ ذلك المسرح الى مستشفى والى موقع حصين تحيط به الاستحكامات ٠

مارى بل سيدة المسرح الفرنسى الأولى ، وليز ديلامار ومونى داليس اللتان كانتا من اجمل ممثلاته ، اتخذن من اثواب النـوم التى تستخدم فى الروايات التاريخية ملابس تمريض ٠٠

ومن بين الذين تطوعوا لحمل النقالات هناك ، رجل هادئ يلبس نظارة اختار ان يتطوع في نوبة العمل الليلية لأنه ظن انها أكثر هدوءا من النوبة النهارية ، وكان يريد أن يسجل انطباعاته فى تلك الأيام . كان اسم ذلك الرجل جان بول سارتر .

واخرج الممثلون من مخزن الأدوات المسرحية صندوقا كانوا يخبئون فيه الاسلحة سرا . ومن أجل أن يستكملوا نواحى النقص فى استعداداتهم ، لجأوا الى صناديق الملابس المسرحية .. فارتدى جاك داكمين الملابس التى كان قد استخدمها فى فيلمه الاخير،وهى المسدس القديم الذى أعطى له فى أثناء تمثيله ذلك الدور ، وتسلح جورج مارشال معبود الشباب الفرنسى باحدى بنادق القرن الثامن عشر .

***



كعادته كل يوم ، وقف فون شولتتز فى شرفة مكتبه الصغيرة بفندق «ميريس» بعد الفداء ، يستنشق الهواء النقى ويمتع عينيه بمنظر حدائق « التويلرى » الجميل وبسائر معالم باريس الأخرى التى تبدو وراءها ٠٠ ولكن صوت الرصاص الذى بدأ يتردد من جديد فى شوارع باريس ، والذى كانت اصداؤه المكتومة تصـل اليه ، أفسد عليه متعته .

كانت الهدنة التى رتبها قنصل السويد العـام نوردلنج قد أخرجته ـ مثلما أخرجت خصومه ـ من مأزق حرج . لولاها لكان مبنى مديرية الشرطة ، وربما كل ما فى جزيرة « ايل دى لاستيه » معه ، قد أصبح الآن انقاضا .

ولم يكن هذا فى حد ذاته ليزعج شولتتز ٠٠ ولكنه لو كان قد حدث ، لزج بقواته فى صراع لاتراجع فيه مع المدينة .. وهو صراع لا فائدة منه ومن الأفضل ان يتجنبه لو أمكن ، فهناك مهام أهم منه تنتظر قواته ٠ ولكن يبدو الآن ان آخر فرصة لتحاشى الصراع قد بدأت تفلت ٠

وعادت أفكار شولتتز ـ وهو يستمع الى أصوات الطلقـات المتزايدة ـ الى الحديث الذى دار بالتليفون بينه وبين يودل منذ أقل من ساعة .

ان ما تورط فيه من ابلاغ القيادة الالمانية العليا بخطورة الوضع فى باريس ، قد وضع حدا لكل امل له فى ان يحول انظار الفوهرر عن منطقة قيادته المضطربة ..

ان هتلر لن يدعه يعرف الراحة بعد الآن .. وما لم ينجح الدبلوماسي السويدى فى اعادة الهدوء الى المدينة بواسطة هدنته ، فان هتلر سوف يجبره هو على اعادته اليها بواسطة العنف .. أو سوف يضع شخصا آخر فى مكانه ليفعل ذلك .

قطع عليه تفكيره رنين التليفون . طلب المتحدث الذى كان من ضباط المحكمة العسكرية فى ((سان كلو)) ان يكلم قائد منطقة باريس شخصيا . ابلغه فى زهو انه قد ألقى القبض على ثلاثة من المدنيين يزعمون انهم من وزراء ديجول فى سيارة ممتلئة بالأسلحة والوثائق . وسأل ما اذا كان ينبغى اعدام الثلاثة على الفور بسبب حملهم الأسلحة ، أو تسليمهم الى الجستابو الذى يطالب بهم .

رد شولتتز على الفور قائلا :

ـ اعدموهم !

فقد كانت الاوامر الصادرة الى جنوده تقضى بأن يطلقوا النار دون تردد على أى مدنيين يحملون أسلحة .. لكن خاطرا جديدا طرأ فى ذهنه جعله يستدرك قائلا :

ـ بل احضروهم الى مكتبى .. أريد ان أراهم قبل اعدامهم ..

فقد خطر له انه اذا كان هؤلاء الرجال هم ممثلى ديجول فى باريس حقا كما يدعون ، فقد يكون فى امكانهم اعادة النظام الى العاصمة .

قبل وصولهم الى مكتبه بقليل دخل عليه قنصل السويد العام نوردلنج وهو يلهث ومعه « بوبى » بندر رجل المخابرات الالمانى الذى كان يعمل فى الوقت نفسه فى خدمة الحلفاء سرا .

قال القنصل لقائد منطقة باريس ان المصادفة المحض جعلت احدى الشابات الباريسيات تلمح فى سيارة عسكرية المانية مرت

بها بسرعة ، ثلاثة رجال موثوقي الايدى من بينهم خطيبها • ورجا القنصل شولتتز ان يبحث عن هؤلاء الرجال وان يستخلصهم من ايدى رجال الصاعقة قبل ان يعدموهم •

وأضاف أنهم أنفسهم الرجال الذين تفاوض معهم بشأن الهدنة في الليلة السابقة ، وأن زعامة المدينة سوف تنتقل ، بدون هؤلاء الثلاثة ، الى الشيوعيين حتما . وذكر أن أحد الثلاثة هو من وزراء ديجول وأن اسمه الكسندر بارودى .

فابتسم شولتتز ـ وهو شيء لا يفعله الا نادرا ـ ورد عليه قائلا :

ـ ياسيدى القنصل ، يظهر ان هؤلاء السادة هم الذين انتظر حضورهم الآن !

***

ثبت قائد منطقة باريس « المونوكل» على عينه ونظر في فضول الى الرجال الثلاثة الذين دفعهم نحوه عملاقان من رجال الشرطة العسكرية الالمان • منذ الأمس وهو يود ان يعرف اشكال الرجال الذين يقودون هذه الثورة ضده ، هل هم حقا « بلطجية » و « شيوعيون » كما تزعم أجهزة مخابراته ؟ !

لدهشته وجد الالمانى أمامه ثلاثة رجال صغار الحجم تبدو عليهم أمارات الوداعة ولا يختلف مظهرهم فى شيء عن مظهر آلاف صغار الموظفين الذين تمتلىء بهم شوارع باريس بعد انتهاء ساعات العمل •

تأملهم مليا ، ثم أبدى عجبه من أن تبلغ الحماقة بثلاثة من زعماء حركة مقاومة سرية ، حد ان يتنزهوا فى الشوارع فى وضح النهار ، في سيارة طافحة بالأسلحة وبالوثائق التى تدينهم • وسألهم فى سخرية :

ـ هل تظنون أن رجالى من صبية الكشافة ؟ !

ولكن شولتتز لم يكن قد جاء بهم الى مكتبه لمجرد ان يسخر منهم انهم هنا ليعرفوا منه شخصيا مدى الكارثة التى تنتظر باريس فى حالة انهيار الهدنة التى قبلوها ٠

قال لهم ان اطلاق النار قد تجدد عبر المدينة بأسرهـــا ، وانه بوصفه الحاكم العسكرى لباريس المسئول عن النظام وعن سلامة قواته ، لايسعه الا ان يرد على العنف بالعنف ٠ ونبههم الى انهمصمم تماما على ان تظل طرق مواصلاته داخل باريس ومن خلالها مفتوحة ٠

وأضاف انه لو تجدد القتال فان العواقب بالنسبة للعاصمة ولسكانها يمكن ان تكون وخيمة ٠

لاحظ شولتتز أن لون بارودى شحب قليلا عند سماع تهديده، وكان قد شعر بعدم الاستلطاف نحو ذلك الرجل منذ وقع عليه نظره ٠٠ اذ لم تكن قد ظهرت على بارودى اية علامة من عـــلامات الخنوع التى كان شولتتز يعتقد ان مركزه يفرضها ٠

رد عليه الفرنسى قائلا انه هو ايضا يود ان يســود النظام المدينة ، ولكنه استطرد قائلا :

ـ انت ياجنرال تقود جيشا ، انك تصدر أوامر ورجالك يمتثلون لها ٠ ولكن المقاومة تتألف من حركات عديدة ، ولست اسيطر عليها جميعا ٠

ظل شولتتز ينظر اليه لحظة طويلة ٠ منذ دقائق كان يشعر برغبة قوية فى ان يأمر باعدام هذا الفرنسى النحيل المتكبـر فى حدائق التويلرى امام نافذته ٠ ولكنه مع ذلك لايزال يأمل فى ان يخرج بشىء من هذا الاجتماع ٠ لو أن هؤلاء الرجال قد أدركوا جيدا ما ينطوى عليه تحذيره ، فان نفوذهم قد يساعد فى الابقاء عــلى الهدنة ٠

التفت شولتنز الى القنصل السويدى وقال له :

ـ مادام هؤلاء الرجال قد اعتقلوا بعد وقف اطلاق النار ، فقد قررت ان اضعهم تحت حراستك ..

***

فى « فيللا » قديمة فى قرية « سان نوم لابريتيش » جلس رجلان يتناولان عشاءهما على ضوء شمعة . من خارج الفيللا كان يجيئهم صوت المطر وهو يغمر شوارع القرية المرصوفة بالحجارة وكذلك صوت وقع اقدام جنود كتيبة الصاعقة التى تحتل القرية .

وكان الرجلان يشعران بالحزن وخيبة الأمل ، فبعد كل الجهد الذى بذلاه طوال نصف يوم ، لم يستطيعا ان يتجاوزا هذه القرية التى لاتبعد عن باريس بأكثر من ١٨ ميلا والتى تبعد كثيرا عن الخطوط الامامية الالمانية .

كانت الأوامر قد صدرت الى القومندان ـ أى الرائد ـ روجيه جالوا مساعد الكولونيل رول القائد الشيوعى لحركة المقاومة فى باريس ، بأن يخترق الخطوط الالمانية بمساعدة الدكتور روبير مونو ، لكى يؤدى اهم مهمة كلف بها فى حياته لحركة المقاومة .

لقد أوفده رول لكى يطلب من الحلفاء ان يسقطوا اليه بواسطة المظلات كمية كبيرة من الأسلحة . وكان رول يطمع فى ان يستخدم تلك الأسلحة فى اتمام ثورته وفى تثبيت حركة المقاومة المنتصرة التى يسيطر عليها الشيوعيون بعد ذلك فى باريس .

أما الدكتور مونو فقد كان مفتش صحة المنطقة المحيطة بباريس وكان فى الوقت نفسه يرأس قسم الخدمات الطبية التابع لحركة المقاومة فى المنطقة . وكان لدى مونو سيارة وعدد من تصريحات المرور الالمانية يكفى لايصاله الى برلين لو أراد . .

وكانت هذه الامتيازات النادرة التى يتمتع بها هى التى اوحت بفكرة ايفاد جالوا فى مهمته .

منذ أسابيع كان مونو يلاحظ ان الشيوعيين يقحمون رجالهم على جميع شبكات المقاومة ، وانهم تمكنوا من التسلل الى مكتبه نفسه .

واعتبر مونو الثورة التى اشعلها الشيوعيون بمثابة الخطوة الأولى نحو انقلاب شيوعى . وكان مصمما على أن يحبط تدبرهم اذا أمكنه ذلك .

مساء السبت ، اكتشف من خلال احد رجاله ، ثغرة فى الخطوط الالمانية يمكن تهريب رسول منها الى الحلفاء ، فعرض على رول أن يساعد أحد رجالها على اجتياز تلك الثغرة بقصد « ايجاد اتصال مع الحلفاء وطلب الاسلحة منهم » ..

ومثلما كان يرجو ، فقد رحب رول بالفكرة .

وفى هذه « الفيلا » الكئيبة المشبعة بالرطوبة ، أخذ مونو يعمل على استمالة رسول رول الى وجهة نظره .

قال له فى الصوت الهادىء المتزن الذى يستخدمه ابناء مهنته : ان مطالبة الحلفاء باسقاط الاسلحة على باريس هى عمل جنونى ينطوى على قسوة وحماقة .. وأن اية أسلحة يبعث بها الحلفاء لن تخدم الا عرضا واحدا ، هو التحضير لانقلاب شيوعى ..

واخذ يلح عليه فى الا يطلب اسلحة من الحلفاء وانما يطلب حضورهم الى باريس بأسرع ما يمكن .. والأهم من ذلك حضور شارل ديجول .

وكان جالوا يعرف ان رول لا يتعجل رؤية دبابات الحلفاء وجنودهم فى شوارع باريس ، وانما الذى يهمه هو ان يحصل على اسلحتهم وحدها .

لكن رول ارتكب خطأ تكتيكيا جسيما فى سعيه للحصول على تلك الأسلحة .. اذ اختار لطلبها رجلا ، ربما كان هو الوحيد

بين رجاله ، الذى كان لديه الاستعداد لان يتأثر بحجج الدكتور مونو ، ولان يستجيب لرجائه الملح ٠

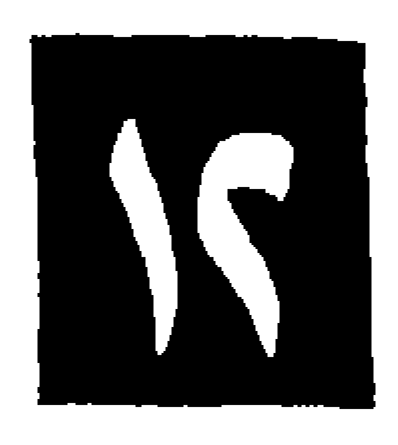
فبعد أن تحدث مونو طويلا ، وفى الظلام الذى ساد « الفيلا » بعد احتراق الشمعة ٠٠ ظل جالوا صامتا برهة ، ثم قال :

ـ اعتقد انك على حق يادكتور ٠

نام الرجلان بعد ذلك ٠٠

بعد ساعات سوف يحقق روجيه جالوا رجل المقاومة غيرالمعروف وهو متنكر فى ملابس « ممرض» ما فشل حتى شارل ديجول فى تحقيقه ٠٠ سوف يقنع دوايت ايزنهاور بان يغير خططه وبأن يرسل قواته الى باريس ٠

***



قبل بزوغ الفجر بساعة ، تجمعت خارج قرية « ايكوشيه » الصغيرة فى مقاطعة نورماندى ، ١٧ دبابة خفيفة ، وعشر سيارات مدرعة ، وجماعتان من المشاة ، وبدأت سيرها بقيادة (الليوتنان ـ كولونيل) ـ أى المقدم ـ جاك دى جيلبون · وكانت عناصر هذه القوة الصغيرة قد تسربت فى سرية تامة وفى صمت كامل من مواقع مختلفة الى المكان المحدد لتجمعها ·

كانت عناصر هذه القوة قد سحبت من عـــدد من المعسكرات المنتشرة في ريف مقاطعة نورماندى ، لكى يصبح من الصعب ملاحظة غيابها ، وزودت بكميات من الوقود ومن الطعام ومن الذخيرة تكفيها لايام عديدة ، وكان اهم ماجاء في الأوامر السرية التى وزعت على ضباطها قبل ان تبدأ رحلة المائة والاثنين والعشرين ميلا المحددة لها ، يتلخص فى جملة واحدة هى :

« تجنبوا الامريكيين بأى ثمن »

كان دى جيلبون قائد هذه القوة سوف يمضى بها الى باريس ، ليصبح هو من بين جميع جنود الحلفاء الذين تألفت منهم جيوش التحرير ، أول من يزحف نحو عاصمة فرنسا ، وأول حاكم عسكرى فرنسى لها ·

فالجنرال جاك فيليب لكلير قائد الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية ، كان قد قرر تسيير هذه القوة سرا الى باريس ، عـلى مسئوليته الخاصة وبلا تفويض من أية جهة ··

بعد تحرك القوة ، جلس لكلير فى مقر قيادته فى احدى مزارع التفاح القريبة من قرية «ايكوشيه» يفكر فى الخطوة الجريئة التى أقدم عليها ..

انه يعلم جيدا انها عمل من أعمال التمرد المكشوف على قيادة الحلفاء التى يتبعها .. ولكن كان عليه أن يفى بوعد قطعه على نفسه قبل ثلاث سنوات فى أول موقع احتله من مواقع العدو . فى ذلك الموقع الذى كان حصنا يدعى كفرة ، ويقع فى صحراءليبيا على بعد ١٨٠٠ ميل من عاصمة فرنسا ، كان لكلير قد أقسم على أنه لابد أن يحرر باريس يوما ما .

والآن وبينما هو ورجاله الذين تتألف منهم الفرقة الفرنسية الوحيدة الموجودة فى جبهة نورماندى ، ينتظرون بصبر نافد فى مزارع التفاح صدور الأوامر اليهم بالتحرك ، فان فرقا اخرى من قوات الحلفاء تضرب بالقرب من باريس ، وهو يخشى أن يزحف الحلفاء على العاصمة من غيره ..

وقد كتب منذ ستة ايام الى رئيسة المباشر الجنرال الامريكى جورج باتون يطلب اعفاءه من قيادته اذا لم تشارك الفرقة التى يقودها فى تحرير باريس . ولكن لكى يضمن الا يفوته هذا الشرف تماما ، فقد أوفد دى جيلبون على الطريق المتجه الى باريس .

قبل ان يهدد ديجول بسحب الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية من قيادة الحلفاء ، بثلاثة أيام .. كان لكلير من تلقاء نفسه قد أعد الفرقة لمثل هذه الحركة .

كان ايزنهاور قد ابتسم عند سماع تهديد ديجول ، لانه كان يعتقد ان الفرقة الفرنسية لاتستطيع ان تتحرك مسافة ميل واحد لو قطع عنها امداداته ، ولكن ايزنهاور كان مخطئا . فقد كان فى استطاعة تلك الفرقة ان تتحرك بدون أية معونة من الحلفاء حتى باريس ..

فلمدة أربعة ايام ، كانت سيارات الوقود التابعة للفرقة تأخذ بناء على أوامر من لكلير ضعف الكمية المقررة لها • • فبدلا من ان تحمل الطنين الاثنين المخصصين لها يوميا ، كانت تحمل أربعة اطنان • وكان قادة لواءات الفرقة قد توقفوا ــ بناء على أوامره ايضا ــ عن التبليغ عن خسائرهم فى المركبات لكى يستمروا فى تسلم كميات الوقود والذخائر المخصصة لها • وعلاوة على ذلك فقد واظب رجال الفرقة خلال ثلاث ليال على الاستيلاء على الوقود والذخائر من مستودعات الحلفاء ، فى غفلة من حراسها الامريكيين •

والآن اصبحت مركبات الفرقة التى يبلغ عددها الفين ، واصبح رجال الفرقة الذين يبلغ عددهم ١٦ الفا ، على استعداد تام للسير الى باريس ، لو اصدر لكلير ــ أو ديجول ــ الامر بذلك •

ولكن على الرغم من كل النداءات المحمومة التى وجهها لكلير الى رؤسائه الامريكيين ، فقد ظلت الأوامر التى تلقاها هى : « ابق فى مكانك ، واصبر » •

غير ان لكلير كان راضيا فى هذا الفجر ، فان قوة رمزية من فرقته على الاقل قد اصبحت على الطريق المتجه الى باريس بقيادة رجل من اقليم بيكاردى مثله •

ولكن شيئا واحدا ظل يقلقه ، هو خشيته من ان يعرف رؤساؤه الامريكيون ما فعله ، قبل أن يفوت الوقت الذى يمكنهم خلاله ان يوقفوا سير القوة الصغيرة التى حركها •

لذلك ايقظ الكابتين « النقيب » ألان دى بواسيو قائد جماعة حراسته ، وأمره بأن يخطف فى رقة ولطف الرجلين الوحيدين اللذين كان من الممكن ان يبلغا امر اختفاء دى جيلبون ومرافقيه الى رؤسائه قادة الفيلق الامريكى الخامس • وأوصى دى بواسيو بان يأخذهما فى رحلة سياحية • •

كان الرجلان هما ضابطي الاتصال الامريكيين الملحقين بقيادته.

***

قبل طلوع الفجر بساعة جلس ديتريش فون شولتتز يكتب رسالة لزوجته وبجانبه أثمن هدية كان يمكن ان يقدمها «ميس» الجنرالات الالمان في ذلك الصيف ، وهي كيس من البن .. وكان « مراسلته » هيلموت ماير قد « صادر » له ذلك الكيس من مطبخ فندق « ميربس » في الليلة السابقة .

سوف تكون تلك الهدية والرسالة التي رافقتها آخر ما سوف تتلقاه منه زوجته لمدة ثلاثة اعوام ونصف عام .

قال الجنرال في رسالته :

« ان مهمتنا صعبة ، وايامنا تزداد شدة . انى احاول دائما ان أؤدي واجبي ، ويجب على ان اسأل الله كثيرا ، ان يساعدني في العثور على السبل التي يقع هذا الواجب عليها ».

ثم طلب فون شولتتزمن زوجته أن تقبل له طفله الرضيع تيمو وبنتيه ، وقال :

« ينبغي أن يفخروا بابيهم ، مهما أتى به المستقبل » .

وعندما سمع الطرق الخفيف على باب غرفة نومه ، كان قد أوشك على الانتهاء من كتابة الرسالة .

كان الرجل الذي دخل عليه والذي سوف يحمل رسالته الاخيرة هذه الى بادن ــ بادن ، هو الرجل الوحيد في باريس الذي كان ديتريش فون شولتتز يثق به . انه أدولف فون كارلوفيتز قريبه وموضع سره ، ومستشاره ، وقد جاء به فون شولتتز الى باريس معه من مصنع هياكل الطائرات الذي كان يديره في برلين ، والآن بعد أن حملت باريس السلاح فان فون كارلوفيتز سوف يعود في حماية هذه الساعة الاخيرة من الظلام الى برلين .

بعد خروج فون كارلو فيتز من عنده ، تساءل فون شولتتز اذا كان سوف يرى هذا الرجل ثانية ، هو والسيدة التي بعث معه برسالته اليها · ثم خطر له انه قد اصبح الآن وحيدا تماما ·· وحيدا بشكل رهيب كامل فى هذه المدينة التى تضم ثلاثة ملايين ونصف مليون من السكان ·

***

فى الطرف الآخر من باريس ، كانت هناك مجموعة اخرى من الرجال تتحرك فى ظلام ما قبل الفجر · بين أعضاء تلك المجموعة التى أخذ افرادها يقفزون دون احداث أى صوت من باب يغطى فتحة فى الارض ، كان عدو ديتريش فون‌شولتتز اللدود الكولونيل رول ·

كان الباب الذى يقفزون منه يقع فى بدروم المقر الرئيسى لادارة مياه ومجارى باريس ·· وبعد ان قفز رول من الباب ، أخذ يهبط فى بطء السلالم الحديدية المائة والثمانية والثلاثين التى تقود الى الممر الجديد لقيادته تحت الارض ، عند نهاية السلالم ، كان هناك باب مطلى بالصلب ، دخل منه الكولونيل رول .

هنا ، عند اساسات باريس وبين جماجم وهياكل اربعين جيلا من ابنائها ، كان يقع الحصن السرى الذى سوف يقود منه رول المعركة التى تستهدف السيطرة على شوارع باريس ، التى تقع على ارتفاع تسعين قدما فوق رأسه ··

وكان اسم الشفرة لهذا الحصن هو « دوروك » وهو اسم جندى فرنسى آخر ، كان من قواد جيوش نابليون ·· وكان بابه يؤدى الى الى مدينة ثانية تحت المدينة .. مدينة تتألف من أنفاق طولها ثلاثمائة ميل تتسلل بين أساســات باريس وتضــم مجاريها و « متروهاتها » .

وتلقى رول مفاجأة سارة عند دخوله « دوروك » وتفقده للغرفة التى سوف يحتلها على ضوء مصباحه الكهربائى الصغير ، فقد

وجد فيها جهاز تليفون ·· جهازا خاصة مستقلا عن شبكة تليفونات باريس ، يتصل بالمائتين والخمسين مركزا التابعة لادارة مياه ومجارى باريس ·· انها شبكة اتصال حرة ، بعيدة عن اجهزة الرقابة والتجسس الالمانية سوف يستخدمها رول فى قيادة ثورته ·

فى تلك اللحظة ، رن ذلك التليفون فتجمد لسماع صوته الرجال الذين كانوا مع رول فى الحجرة المظلمة ··

تقدم منه ورفع السماعة ، الرجل الذى قادهم الى ذلك المكان وهو الحارس المنتظم لهذه الحجرة الواقعة تحت الارض ..

نقل التليفون كلمتين بالالمانية سمعهما رول فى وضوح ، ومعناهما هل كل شىء على ما يرام ؟

فرد عليه الحارس قائلا :

ـ نعم ، نعم .. كل شىء على مايرام !

على بعد ميلين من ذلك المكان وفى الغرفة رقم ٣٤٧ بفندق « كريون » أعاد الملازم الالمانى أوتو دوملر سماعة تليفونه الى مكانها بعد أن اطمأن الى أن كل شىء فى مجارى باريس على ما يرام ..

كان ذلك الملازم هو الالمانى الوحيد الذى يعلم بوجود «دوروك» وكان يعرف مجارى باريس كما يعرف شوارع مدينة شتوتجارت مسقط رأسه · كان هو الضابط الالمانى المسئول عن صيانة مجارى باريس وعن أمنها وعن الدفاع عنها ·· وقد واظب خلال عامين كاملين على أن يسأل حارس « دوروك » نفس السؤال كل صباح ·

وسوف يظل يواظب خلال بقية ايام الاسبوع على توجيه نفس السؤال بالتليفون فى نفس الساعة المحددة كل صباح ··

وسوف يتلقى من مركز قيادة الثورة التى يحاربها مواطنوه نفس الجواب بانتظام :

« كل شيء على ما يرام » !

وصل الى « دوروك » رسول هبط السلالم قفزا ، وبعد ان دخل من الباب القى بلفة حزمت على عجل على احدى المناضد . في تلك اللفة ، ورائحة حبر المطابع لاتزال تفوح منها . كانت أولى جرائد عهد جديد . وكانت اسماؤها تعلن قدوم ذلك العهد « التحرير ـ جريدة باريس المحررة ـ الدفاع عن فرنسا » .

فتح رول الجرائد أمامه فى سرعة هائلة . على صفحاتها الاولى امتدت صيحة حرب قديمة قدم شوارع باريس . وكان رول قد أطلقها بنفسه . كان يأمل فى ان يمد الثوار بنبض جـديد بتلك الصيحة ، وان يهز مشاعر شعب العاصمة الذى أصبح فى امكانه ان يخاطبه مباشرة الآن بواسطة هذه الجرائد .

على الصفحات الأولى من جرائد ذلك اليوم ، يوم الاثنين الواحد والعشرين من اغسطس ، وفى حروف بالغة الضخـامة ، كتبت كلمتنا : « الى الاستحكامات » !.



امتلأت ارصفة باريس من اقصاها الى اقصاها بالحواجز والاستحكامات التى دعا الكولونيل رول اهل باريس الى الاحتشاد وراءها ...

صنع الباريسيون هذه الاستحكامات من كل شيء يمكن نقله أو حمله : من الاشجار ومن سيارات النقل العسكرية الالمانية المحروقة ومن اكياس رمل الدفاع المدنى ومن بلاط الارصفة الذى خلعوه ومن اغطية فتحات المجارى ، واخذوا يضعون فوقها ووراءها كل ما وصلت ايديهم اليه . وضعوا قطع أثاث قديمة ومراتب وسراير . وكان أحد الاستحكامات معززا بجهاز بيانو ضخم !

وربما كان أكثر تلك الاستحكامات مهابة ، ذلك الذى اقامته مجموعة من طلبة كليات الهندسة عند نقطة التقاء شارعى سانجرمان وسان ميشيل بالحى اللاتينى . صنع بأكمله من بلاط الارصفة ، وكان سمكه ستة أقدام . وكان يسيطر على نقطة تقاطع شوارع رئيسية فى المدينة سرعان ما أصبحت تعرف باسم « تقاطع الموت » .

وامام مقهى « لونيفير » فى مواجهة مسرح الكوميدى فرانسيز ، صنع ممثلو وممثلات فرقة التمثيل القومية الفرنسية الاستحكام الخاص بهم ، وحشوه بمحتويات غرفة المناظر بمسرحهم . ولكنه ظل هزيلا وغير باعث على الاطمئنان .. فقرروا اللجوء الى اساليب الحرب النفسية فى ابعاد الدبابات الالمانية عنهم . أحاطوا استحكامهم بحلقة من العلب التى كتبوا عليها بالالمانية : « خطر ــ الغام » . وخلال الاسبوع بطوله لم تجرؤ دبابة المانية واحدة على الاقتراب من حصنهم الهش !

ابتهج رول كثيرا لانتشار الاستحكامات والحواجز ، واصبح همه الأول هو الحصول على الأسلحة .

لم يكن واثقا من نجاح « جالوا » فى المهمة التى اوفده فيهـا ، فطلب من خصومه الديجوليين ان يتصلوا بالحلفاء من اجل اسقاط كمية وفيرة من الأسلحة بالمظلات على المدينة . وكتب قائمة بالمهمات التى يريدها ، وقد تضمنت عشرة آلآف قنبلة يدوية وخمسة اطنان من البلاستيك وآلاف الاقدام من أشرطة الفتائل التى تستخـدم فى تفجير الالغام ، علاوة على الأسلحة والذخائر .

وقد فعل رول ذلك مرغما . لأن الديجوليين هم الذين كانت لديهم اجهزة الارسال اللاسلكية التى يمكن الاتصال بلندن بوساطتها وكان غير مطمئن الى ان الديجوليين سوف يمررون طلبه ، أو الى ان هذا الطلب سيلبى حتى فى حالة وصوله الى لندن .

***

أعاد ايفون موراندا سماعة التليفون الى مكانها فى غيظ ، بعد ان اصبح واضحا له انه سوف يتعين عليه ان يقوم بمفرده بالمهمة التى كلف بها .

كان يحتاج فى الحال الى ثلاثين رجلا على الأقل من رجال المقاومة المخلصين لديجول لمساعدته فى مهمته ، ولكنه عجز عن العثور حتى على مجرد واحد منهم .

ان هذا النقابى الشاب الممتلىء الجسم الذى اقتنع منذ عشرة ايام بان الشيوعيين حاولوا اغتياله ، سوف يلعب الدور الرئيسى فى مغامرة ديجوليه جريئة اطلق عليها اسم « عملية الاستيلاء على الحكم » .

انه سوف يستولى على قصر « ماتينيون » مقر رؤســاء وزراء فرنسا دون ان يساعده احد غير سكرتيرته الشقراء كلير التى كانت فى الوقت نفسه خطيبته .

قبل ذلك بقليل ، وفى نفس هذه الشقة المتواضعة فى شـــارع سانت أوجستان التى يقف فيها الآن ايفون وخطيبته ، كان الكسندر بارودى قد قرر الشروع فى تنفيذ هذه العملية التى أعدت منـذ زمن بعيد ودرست بعناية وحصلت على موافقة قيادة الديجـوليين فى لندن .

كان بارودى قد ادرك ان ما فعله له الجنرال ديتريش فون شولتتز بالامس ، وان كان قد انقذ حياته ، الا انه يهـدد نفـوذه وهيبته تهديدا خطيرا .

والهدنة التى كان يأمل أن ينقذ باريس بوساطتها أخذت تتفكك وتنهار ، والثورة التى أراد ان يجمدها بدأت تندلع من جديد ..

بدا له انه لم يبق أمامه غير ساعات قليلة من الوقت الذى اراد أن يكسبه بوساطة الهدنة ، فقرر أن يستغل تلك الساعات لا فى المحافظة على الحاضر ، ولكن فى تأمين المستقبل .

فى حركة سريعة واحدة ، سوف يحاول بارودى ان يقيـــم فى باريس التى حملت السلاح ، حكومة شارل ديجول .. بواسطة «عملية الاستيلاء على الحكم» سوف يسبق الشيوعيين الى مراكز السلطة .

كل وزير فى حكومة ديجول فى المنفى ، كان له نائب فى العاصمة تم اختياره بعناية ، ليقوم بمهام الوزير الى ان يتمكـن الوزير من الحضور . وبموجب « عملية الاستيلاء على الحكم » سوف يحاول بارودى وضـــع نواب الوزراء هؤلاء فى وزاراتهم حيثمـــا أمكن ذلك . بعد ذلك سوف يجمعهم فى اجتماع رمزى لمجلس الوزراء فى قصر « ماتينيون » مقر رئيس الوزارة .

وبهذه الحركة المنطوية على التحدى سوف يعلن للعاصمة ان حكومة ديجول قد خرجت الى العمل العلنى وأصبحت تباشر مهامها

واذا أراد الشيوعيون بعد ذلك الاستيلاء على مناصب السلطه فسوف يتعين عليهم ان يخلعوا منها رجال بارودى أولا ، وان يتبرأوا علنا من هيكل الحكم الذى أقامه .

ولدعم موقفه ، قام رجاله بتهريب مئات من قطع السلاح الى باريس ، من مخابئها فى الكهوف المحيطة بالهضبة التى تعلو «توسون» التى كان الفدائيون الديجوليون ينتظرون فوقها تنفيذ العملية الانتحارية التى كانت كلمات « هل أفطرت جيدا يا جاك ؟ » هى التى سوف تعلن بدء تنفيذها . وسوف تستخدم تلك الأسلحة فى تسليح حرسهم الخاص الذى أطلق عليه اسم «القوة الحكومية» وهو حرس تشكل من الديجوليين الأوفياء ومن العناصر التى يمكن الاعتماد عليها من رجال الشرطة ومختلف اجهزة الأمن العام ..

وكان أولئك الرجال الذين صدرت اليهم الأوامر بالاحتفاظ بعاصمة فرنسا لحين حضور ديجول اليها ، يعلمون انهم قد يضطرون فى الأيام القادمة الى الدفاع عن المبانى التى احتلوها ؛ ليس فقط ضد الالمان .

نزل ايفون موراندا من الشقة مع كلير ، وبعد ان اجلسها امامه على دراجته ، انطلق ليستولى على مقر رؤساء وزارات فرنسا .

وبدون تفكير انطلق الى شارع « ماتينيون » مباشرة ، مفترضا ان قصر « ماتينيون » لابد ان يكون فى شارع « ماتينيون » .

ولكنه عندما وصل الى ذلك الشارع ، تبين ان المبنى العام الوحيد الموجود فيه يرفع العلم الالمانى ويحرسه جنود المان ..

فأدرك الديجولى الشاب المكلف بالاستيلاء على مقر رؤساء وزارات فرنسا ، انه لا يعرف اين يقع هذا المقر !!

١٤

كان هايتريش هاوزر « محول » السكة الحديد الالمانى وزملاؤه الثمانية والأربعون من عمال السكك الحديد الالمان الذين يعملون فى رئاسة القطاع الشمالى من سكك حديد فرنسا المحتلة ،فى منتهى السعادة هذا الصباح · انهم عائدون الى المانيا اليوم ، بعد ان عملوا مدة طويلة فى محطة « باتنبول » فى باريس ·

ولم يقلل من سعادتهم ان سيارة النقل التى وعد رئيسهم بارسالها اليهم فى المحطة لاعادتهم الى بلادهم ، لم تحضر · فعلى احد خطوط المحطة الكبيرة ، كان يوجد قطار قديم ربطت به عربة بضائع واحدة ، ويمكنهم استخدام هذا القطار وتلك العربة فى العودة الى بلادهم ، بدلا من سيارة النقل ·

ولن ينطوى هذا العمل على اية مشكلة بالنسبة لهم ، فقد اصبحوا يعرفون شبكة خطوط سكك حديد باريس كما يعرفون اكف ايديهم ·

صعد هايتريش هاوزر الى برج التحويل ، واجرى التحويلات اللازمة لفتح الخط امام قطارهم بحيث يخرج من باريس من خلف مطار « لبورجيه » ويتجه نحو ستراسبورج والمانيا · وبعد قليل تحرك القطار بالرجال التسعة والأربعين من المحطة ليبتعد بهم عن جو باريس الذى اصبح مشبعا بالتهديد ·

ظل هاوزر ينظر من نافذة عربة البضائع الخلفية فترة الى معالم باريس التى أخذت تتراجع امام عينيه ، ثم استغرق فى نوم خفيف

.. فقد أمضى الليلة السابقة بطولها يحتفل هو وزملاؤه بقرب عودتهم الى وطنهم ولم يذق أحد منهم طعم النوم ٠

عندما استيقظ بعد برهة ، واطل من نفس النافذة ، فوجئ بأمر عجيب !

ان الشمس قد غيرت اتجاهها ، واصبحت تشع من امام القطار بدلا من خلفه !٠٠

وفى لحظة ادرك هاوزر الحقيقة ٠٠ فأخذ يوقظ زملاءه الذين كانوا قد ناموا مثله وهو يصيح فى غيظ عارم :

ـ أولئك الخنازير ! ٠٠ لقد قلبوا التحويل ٠٠ نحن عائدون الآن الى باريس !

* * *

وصل ايفون موروندا اخيرا الى قصر « ماتينيون » بعد ان كان قد اضطر الى سؤال احد المارة عن مكانه ، وعرف منه انه فى شارع فارين ، على الناحية الأخرى من نهر السين ، وليس فى شارع « ماتينيون » كما تصور ٠

اوقف دراجته بجانب اسواره الحجرية الصفراء ، واتجه مع كلير نحو بوابته الخضراء الضخمة التى كانت قد اغلقت قبل أربعة أيام بعد خروج بيير لافال منها . وقرع موروندا الباب فى حزم ٠

انفتحت نافذة صغيرة فى البوابة ، فقال موروندا للرجل الذى أطل منها انه جاء ليرى قائد حرس القصر ٠٠ ففتح له البوابة ٠

فتح موروندا فمه فى دهشة ورعب عندما رأى المنظر الذى انكشف امامه ٠ ففى فناء القصر كان اكثر من مائة رجل من اعضاء حرس لافال الخاص ، بملابسهم الرسمية السوداء ، وقد علقت القنابل اليدوية بأحزمتهم ، وصفت اسلحتهم بالطريقة الرسمية التقليدية فى أحد جوانب الفناء .

أمسك موراندا بذراع كلير وفى خطوات تصور انها وقورة دخل الفناء ووقف فى أحد أركانه فى صمت .

اعطته كلير رباط ذراعه المثلث الألوان وقالت له فى همس :

ـ ضع هذا فى ذراعك ..

ثم وضعت بدورها شريطا مماثلا حول ذراعها ، بأصابع ترتعش ..

تقدم منهما قائد الحرس ، وكان رجلاقصيرا فى حركاتهمبالغة .. فسأل موراندا نفسه ما الذى ينبغى عليه أن يفعله . ان بارودى كان قد قال له : عد اذا وجدت مقاومة .. ولكن الظواهر تدل على أنه لن يعود الا محمولا على نعش .

قال له قائد الحرس فى نبرات عسكرية حادة :

ـ انا قائد الحرس .. ما الذى تريده ؟ .

فحدد موراندا لنفسه فى تلك اللحظة ما سوف يفعله .

فى صوت جهورى رنان ، اندهش له هو نفسه ، وفى نبرات قوية ممتلئة بالثقة وبالشعور بالسلطة .. اعلن :

ـ لقد جئت لاحتلال هـذا المكان باسم الحكومة المؤقتة لجمهورية فرنسا .

فوقف الرجل القصير الذى كان قد منح ولاءه لمدة اربع سنوات لحكومة فيشى ، وقفة الانتباه ، وقال له :

ـ تحت أمرك ! .. لقد كنت دائما من الجمهوريين المخلصين !

ثم أمر رجاله بأن يقفوا الانتباه بدورهم .. بينمـا تقـدم موراندا وهو يلبس سروالا وقيمصا فقط ، وكلير بثوبها الصيفى ؛ نحو السلالم المرمرية المؤدية الى القصر الرشيق .

على رأس السلالم كان ينتظر فى ملابسه الرسمية ، امين القصر، الذى حياهما بايماءة ترحيب وقورة واخذهما فى جولة تفتيشيـة داخل القصر ٠

اراهما غرفة مكتب لافال الخالية ،ومكتبه الذى كانت أدراجه لاتزال مفتوحة ٠ ثم صعد بهما الى الدور العلوى المخصص لاقامة رؤساء الوزارات ٠ وعندما وصلوا الى غرفة الحمـام المكسوة بالمرمر التى كان لافال قد استحم فيها للمرة الأخيرة على ضوء الشموع منذ أربع ليال،سأل امين القصر ماذا كان السيد يود أخذ الحجرة الخضراء المجاورة لاستعماله الخاص ٠٠ فسأل موروندا :

ـ ما هى الحجرة الخضراء ؟

فأجاب الامين دون ان يسمح لاكثر من علامة باهتة من علامات الدهشة ان تبدو عليه :

ـ انها غرفة نوم رئيس الوزراء !

***

وراء مدفعه الرشاش انبطح جرمان برتون امام مدخل نفـــق السكة الحديد فى « بوت شومون » .. نظر الى ســـاعته وقال لنفسه ان قطار « باتنيول » القديم سوف يدخـــل مجال نيران مدفعه بعد سبع دقائق ٠٠

قبل ذلك بربع ساعة كان برتون قد تلقى نبأ بان قطار بضاعة المانى متجها نحو ضاحية « ايفرى » سوف يمر من هـذا النفـق بعد ربع ساعة . فغادر هو ورجاله دار حضانة الاطفال التى كانوا قد حولوها الى احد مراكز حركة المقاومة واتخذوا مواقعهم عند مدخل النفق ٠

خلال الساعة الاخيرة ، كانت كل دورة من دورات عجـــلات القطار تبعد هاينريش هاوزر ورفاقه الثمانية والأربعين اكثر واكثر عن الهدف الذى اتجهوا اليه فى بداية رحلتهم ٠ فقد كان القطار بعربة البضائع الملحقة به يتجه بانتظام نحو ضاحية « ايفرى » ٠

وعما قريب سيكوتون قد قطعوا باريس بأسرها من الشمال الى الجنوب بعد ان وقعوا فى مصيدة الخطوط المحولة · وبدلا من ان يتجهوا الى نهر الراين كما منوا انفسهم ، اصبحوا متجهين نحـو الخطوط الامريكية مباشرة ·

فجأة خيم الظلام على عربتهم ، كانوا قد دخـــلوا نفق « بوت شومون » ·· عند الطرف الآخر من النفق أخذ يرتون يحدق أمامه ، ويضبط عدسات منظار مدفعه ·

عندما وقع نظر رجاله على القطار ، فتحوا عليه النار ·

بحركة عنيفة استطاع قائد القطار أن يقلب اتجاهه وأن يعود به الى الخلف الى داخل النفق ·

هناك قفز هاوزر الى الارض · ولاحظ فى الظلام وجود قطار آخر واقفا على الخط الحديدى الثانى · اشعل عود ثقاب وســار نحو ذلك القطار · على ضوء عود الثقاب المهتز رأى كمية هائلة من الصناديق الخشبية وعلى كل منها علامة جعلته يسارع الى قـذف عود الثقاب الى الأرض · كانت تلك العلامة هى جمجمة وعظامـا متقاطعة وقد كتبت تحتها كلمة « خطر » ·

كان هاينريش هاوزر ورفاقه الثمانية والاربعون قد حوصروا فى هذا النفق بجانب قطار مشحون بالمتفجرات

رفع هاوزر يديه فوق رأسه المتصدع من سهرة الليلة الماضية ، وسار امام زملائه نحو رجال المقاومة المنتظرين ·

❋ ❋ ❋

كانت رحلة روجيه جالوا ، الرجل الذى أوفده رول لطلب السلاح من الحلفاء ، قد أوشكت هى أيضا على بلوغ نهايتها ··

وراء كوم من التبن ، وعيناه مصوبتان الى الفرنسى الذى استبد به الارهاق ، كان يجلس القرفصاء جندى المانى ·· هو آخر رجل

يفصل بين جالوا وبين مجموعة من الامريكيين على بعد خمسمائة ياردة منه ..

كان جالوا قد ظل ساعات يناور ويداور لكى يصل الى هـذه المدينة الصغيرة التى تدعى « بوساى » والتى تقع عند مفارق طرق على بعد ٥٦ ميلا غربى باريس .. والآن بعد أن افترق عن الطبيب الذى ساعده فى الوصول الى هنا ، واصبح وحيدا .. قرر ان يقوم بمخاطرة محسوبة .

قدر بينه وبين نفسه ان الجندى الالمانى لن يطلق النار عـلى شخص مدنى واحد ، ويكشف بذلك عن موقعه . فمضى سائرا الى الامام مارا بالالمانى وقلبه يكاد يتوقف .

مثلما قدر ، تركه الجندى يمضى فى طريقه دون أن يوجه اليه ماهو اكثر من النظرات العدائية .

لقد نجحت فكرته !.. لقد اجتاز الخطوط الالمانية !.. فاندفع وهو يكاد يسقط اعياء فى حالة تشبه الهذيان لشدة انتشائه بنجاحه ، نحو الجنود الامريكيين الذين كانوا أول جنود امريكيين رآهم فى حياته .

كان أول جندى وصل اليه جالسا القرفصاء هو الآخـر فى منخفض محاذ للطريق .

قال له جالوا فى فرحة غامرة :

ـ انا من باريس ، واحمل رسالة للجنرال ايزنهاور ..

فظنه الامريكى معتوها ، ونظر اليه برهة دون اهتمام ، ثم رد عليه بقوله :

ـ وماذا ايضا ؟!



فى مثل هذه الأيام من شهر اغسطس كانت طائرات الأسطول الجوى الالمانى الثالث — الذى يمثله هذا الضابط الاحمر الوجه الجالس بجانب الجنرال فون شولتتز — تملأ سماء فرنسا فى تشكيلات مخيفة وهى متجهة الى بريطانيا أو عائدة منها بلا انقطاع ٠٠ ولكن هذا كان منذ اربع سنوات مضت ٠

اما الآن فقد اصبح العمود الفقرى لهذا الاسطول الجوى فى فرنسا ، مائةوخمسين طائرة قاذفة قنابل ترابط فى مطار «لبورجيه» على بعد سبعة اميال من فندق « ميريس » الذى جلس فيه الرجلان يتحدثان ٠٠ وحتى هذه الطائرات ، سوف تضطر عما قريب الى ان تفر شمالا ، او تواجه الدمار ٠

ولكن قبل ان ترحل ٠٠ كان قائدها الجديد يريد ان يضيف بها مجدا جديدا الى امجاد السلاح الجوى الالمانى الذى اصبح اسمه مقترنا بدمار لندن وكوفنترى وروتردام ٠

كان الجنرال — أوبرشت أوتو ديسلوخ قد خلف الجنرال فلد مارشال البدين غير الفعال هوجو شيبرلى فىقيادة الاسطول الجوى الثالث ظهر يوم ١٨ اغسطس ٠ وكانت الأوامر التى جاء بها تقضى باثبات وجود طائراته فى اجواء الجبهة الغربية ٠ وكان من أول ما فعله انه أوفد هذا الضابط الى فون شولتتز ليعرض عليه مساعدة الطيران فى قمع اضطرابات باريس ٠

وكان رد الفعل الأول لشولتتز عندما تلقى هذا المرض ، هوان يقترح تنفيذ الهجوم الذى كان قد الغاه على مبنى مديرية الشرطة .. ولكن الضابط الأحمر الوجه كان لديه اقتراح آخر ، هو القيام بهجوم جوى ليلى على منطقة أوسع ..

اقترح اسلوبا سهلا مأمونا وان كان قاسيا بعض الشيء لوضع حد للثورة التى نشبت فى اراضى قائد منطقة باريس الكبرى ، يتلخص فى تدمير الطرف الشمالى الشرقى من المدينة تدميرا شاملا فى ليلة واحدة من القذف الجوى المستمر .

وحدد الضابط الطيار باصبعه على خريطة فون شولتتز ، المنطقة العمالية التى فى ذهنه . كانت تمتد من سفح تل مونمارتر شرقا الى ضاحية بانتان ، ومن « برت شومون » شمالا الى مرسى «لافييت» وقد اختار هذه المنطقة بالذات لانها لاتبعد عن مطار « لبورجيه » اكثر من خمسة اميال .

وكان مشروعه يقضى بان تتجه الطائرات من ذلك المطار الى تلك المنطقة التى تضم ثمانمائة الف من السكان على دفعات .. وكان تقديره ان كل طائرة تستطيع ان تقوم بعشر رحلات على الأقل تفرغ فى كل منها حمولتها الكاملة من القنابل على المنطقة . وهكذا تستطيع ان تخلى مخازن المطار المقامة تحت الأرض من جزء كبير من محتوياتها من القذائف التى بغير ذلك لن يستطيع الاسطول الجوى حملها معه عند انسحابه أو استخدامها فى أى عمل آخر ..

وختم الضابط الأحمر الوجه شرحه لاقتراحه بقوله انه بعد ليلة كاملة من القذف الجوى الذى يتم من ارتفاع منخفض وضد هدف محدد بوضوح وبلا مقاومة ، فانه لن يبقى كلب أو قطة يتحرك فى شمال شرقى باريس .

واستطرد قائلا ان هذه المنطقة سوف تصبح ((همبورج صغيرة)).

ولن ينسى فون شولتتز هذا التشبيه ابدا · فالضابط الذى يحدثه هو من ابناء همبورج ·· ذلك الميناء الذى احرقه الحلفاء فى غارة يوليو الماحقة سنة ١٩٤٣ · وقد فقد ذلك الضابط الطيار زوجته وولديه فى تلك الغارة ·

وكان كل ما تطلبه الخطة من رجال فون شولتتز هو ان يغادروا المنطقة وان يحددوها بوضوح بواسطة شعلات الاشارة ، وان يقطعوا انابيب المياه الرئيسية فيها لكى تتمكن الحرائق التى يشعلها الهجوم الجوى من ان تنتشر دون عائق · ولهم – اذا ارادوا – ان ينذروا السكان بالهجوم قبل وقوعه بدقائق ·

كان فون شولتتز يبحث فى هذا الصباح عن وسيلة لاذلال سكان باريس · ان اقدامه فى اليوم السابق على الافراج عن الكسندر بارودى ومساعديه لم يؤد الى اى نتيجة . فبدلا من أن يقود هذا الاجراء الى وقف الثورة ، فانه يبدو انه ساعد على نشرها · لقد نبتت الاستحكامات على الارصفة فى طول باريس وعرضها ·· وعلى مكتبه أدق الأدلة واكثرها ايلاما على حدة الثورة ، وهو قائمة الخسائر التى لحقت برجاله · فى يوم الأحد – وهو اليوم الذى عقد فيه هدنة مع الثورة – فقد اكثر من ٧٥ قتيلا ·· أى اكثر مما فقد يوم السبت ، وهو اليوم الذى بدأت فيه الثورة ·

ومن الواضح اين يقع واجبه الأول · ان واجبه الأول هو نحو جنوده · ان اقتراح ضابط الطيران عنيف ودموى ، ولكنه كفيل بان يجعل سكان باريس يرون انه قادر على ان يضرب ويدافع عن نفسه · ومن حق جنوده عليه ان يفعل هذا ·

أبلغ فون شولتتز ضابط الطيران انه سوف يأمر هيئة اركان حربه باعداد خطة للهجوم الذى اقترحه ·

***

في مكتب المحافظ بدار المحافظة باقليم « رين » جلس شارل ديجول وحده يكتب رسالة الى الجنرال ايزنهاور يوجه فيها نداء اخيرا اليه ..

طوال الليلة الماضية ، وخلال الصباح ، كانت اجهزة الارسال اللاسلكية السرية التى يستخدمها رجاله فى باريس للاتصـــال بحكومته ، قد امطرته بوابل من الرسائل التى تلح فى طلب دخول الحلفاء فورا الى باريس . وكانت احدى هذه الرسائل تقول : «الثورة التى بدأت السبت وكبحت لمدة يومين بواسطة الهدنة ، لايمكن احتواؤها بعد هذا المساء .. نشوب القتال غدا فى باريس باكملها بعدم توازن مخيف فى القوى يبدو مؤكدا »

وقد بدا الوضع المتدهور الذى وصفته تلك الرسائل خطيرا لديجول الى حد لا يمكن السماح معه لاى شىء بتأخير دخوله ودخول الحلفاء الى باريس بعد هذا ..

كان يعلم ان كل ساعة تمر تفيد خصومه السياسيين ، وكان يرى ان الاضطرابات التى يسعون الى اثارتها عن طريق الثورة التى لن تلبث أن تصبح شاملة ، وان الفوضى التى يرجون ان يبنوا فوقها اطماعهم السياسية على وشك أن تسود .

واذا لم يتم دخوله الى العاصمة بسرعة ، فانه قد يجىء متأخرا .

واحس ان الخطر كبير الى حد قبل معه ـ باسم السيادة الفرنسية ـ مخاطرة كان حتى حلفاؤه مترددين فى قبولها .. فكتب الى ايزنهاور قائلا ان احتلال العاصمة أمر ملح على نحو يقتضى الاقدام عليه حتى وان كان سوف يتسبب فى حدوث قتال وتدمير فى داخل المدينة .

وقد اختار ديجول لحمل رسالته هذه الى ايزنهاور ، ابرز رجاله وأقربهم اليه . فسلمها الى الجنرال الفونس جوان بطل معـركة « مونت كاسينو » وطلب منه ان يبلغ القائد الأعلى للحلفاء فى أوربا رسالة شفوية بالاضافة الى الرسالة المكتوبة التى يحملها ..

وكانت تلك الرسالة الشفوية تقول انه فى حالة عدم الالتفات الى النداء الملح الاخير الذى تتضمنه الرسالة المكتوبة ، فان ديجول سوف يجد نفسه مضطرا الى سحب الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية من قيادة الحلفاء ، والى ارسالها الى باريس بناء على أوامره الخاصة.

بعد ان خرج الجنرال جوان من المكتب ، بدأ ديجول يكتب رسالة ثانية . كانت تلك الرسالة موجهة الى الجنرال لكلير قائد الفرقة المدرعة الثانية ، وفيها وجه ديجول تنبيها رسميا الى الجنرال الشاب النافد الصبر الذى كانت مفرزة من قوته قد بلغت فعلا مدينـــة « شارتر » فى طريقها الى باريس بصورة غير شرعية .

لم يكن التهديد الذى وجهه الى ايزنهاور تهديدا اجوف . على الرغم مما ينطوى عليه ذلك العمل من الم بالنسبة له ، وعلى الرغم من أن نتائجه قد تكون باهظة الثمن ، فقد كان ديجول مستعـــدا لان يمزق وحدة قيادة الحلفاء من اجل باريس .

ابلغ لكلير بان عليه ان يكون مستعدا لتجاهل أوامر قيادة الحلفاء ، وبان يعتبر نفسه خاضعا لأوامر الحكومة الفرنسية مباشرة .

اذا لم يكن فى نية ايزنهاور أن يرســل لكلير الى باريس ، فان ديجول سوف يفعل ذلك ..

وفى حالة اقدام الحلفاء على محاولة سد الطريق الى باريس فى وجه لكلير ، فانه لا يزال أمام ديجول طريقة أخرى لفرض وجوده على العاصمة الفرنسية .

ففوق الهضبة التى تتوسط غابة «نمور» هناك فدائيون ينصتون فى لهفة وقلق الى اجهزة الراديو ، وكل شىء معد عند قطعة الأرض التى جعلوها صالحة لهبوط طائرة صغيرة .

سوف يتلقى أولئك الفدائيون من خلال الراديو الرسالة التى ينتظرونها ، وسوف يتولون استقبال ديجول ونقله الى باريس .

***

كانت سماعة التليفون تنقل الى أذن فون شولتتز سيلا من العبارات اللاذعة ٠

فى سلاطة اللسان المتغطرسة التى كان يخص بها جنرالاته ، كان الجنرال فلدمارشال فالتر مودل القائد الالمانى العام للجبهة الغربية يوجه توبيخا عنيفا لقائد منطقة باريس . على فشله فى حفظ النظام فى العاصمة ٠

قال مودل لفون شولتتز انه قد سمع حتى اشاعات تردد ان قائد باريس قد اجرى مفاوضات مع الارهابيين ٠

فى خوف وانفعال انكر فون شولتتز هذه التهمة ٠

قبل مودل انكاره ، ولكنه حذره من تجاوز سلطاته فى باريس ٠

كان مودل عصبيا ونافد الصبر ٠ قال ان مايريده من فون شولتتز هو النظام فى باريس ، وانه ينتظر منه أن يلجأ الى كل وسيلة لديه لتوفير هذا النظام ٠

وعد فون شولتتز بأن ينفذ الأوامر الصادرة اليه ، ولكنه حذر المشير من انه سوف يحتاج الى تعزيزات فى حالة ازدياد الاضطرابات

غضب مودل غضبا شديدا لسماع ذلك ، وامر شولتتز بأن يتصرف فى حدود ما لديه من قوات ٠٠ ولكنه رضى اخيرا ، امام توسلات شولتتز الملحه العنيدة ، بان يعطيه جزءا من قوات فرقة المشاة الثامنة والأربعين التى يجرى سحبها من هولندا ٠

وكان لعصبية مودل ونفاد صبره ما يبررهما ٠٠ فمنذ حوالى ثمان واربعين ساعة ، وهذا القائد الذى ينتظر منه هتلر المعجزات ، يتصرف على نحو مضاد تماما للاوامر التى تلقاها من هتلر ٠

بعد ساعات من اتخاذه لقرار سحب قواته المهددة بالمحاصرة ، الى ماوراء نهر السين يوم الأحد ٠٠ كان قد تلقى أمرا جديدا يحمل

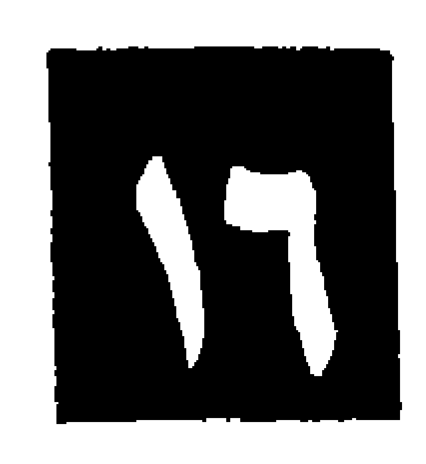
توقيع هتلر شخصيا ، ويحدد له مهمته الأولى بالدفاع عن رأس الجسر الذى تشكله باريس . وكان ذلك الأمر يبلغه بان عليه الاحتفاظ برأس الجسر هذا بأى ثمن والتشبث به ، دون أى اعتبار للدمار الذى سوف يلحقه بباريس .

وقد وصل هذا الأمر الى مقر قيادته فى الساعة الحادية عشرة والنصف مساء ، بعد ان كانت أوامره بالانسحاب الى ماوراء النهر قد ابلغت الى جيشه الخامس المدرع . ويبدو أنه وجد ان أوان الغاء أوامره السابقة ووقف الانسحاب قد فات .

فى وقت لاحق من هذا اليوم ، سوف يقترح مودل على القيادة العليا لهتلر الدفاع عن باريس من مواقع تقع الى شمالها وشرقها وربما يكون دافعه الى تقديم هذا الاقتراح شعوره بعمق تورطه على طول النهر ، أو تشككه فى حكمة الدخول فى معركة صاخبة من اجل باريس .

ولكن الرد الذى سوف يبلغه اليه الفريد يودل رئيس هيئة أركان حرب هتلر سوف يكون قاسيا وحاسما . سيقول له يودل فى كلمات لا تترك له مجالا للخيار ان الدفاع عن باريس لن يكون من الشمال ولا من الشرق ، ولكن داخل المدينة نفسها .

اما الآن فان مودل ينهى مكالمته التليفونية الغاضبة مع فون شولتتز بقوله فى حدة ان عليه ان يعيد النظام الى باريس بأى ثمن .
ويغفل مودل للمرة الثانية خلال اربع وعشرين ساعة ان يبلغ قائد منطقة باريس بحقيقة حيوية الاهمية .. حقيقة ان القيادة العليا لهتلر قد قررت تعزيز حاميته بفرقتين مدرعتين ، وان هاتين الفرقتين قد تحركتا من الدانمرك فى طريقهما الى فرنسا .



شوارع باريس التى كانت تتردد فيها منذ ساعات صيحة « الى الاستحكامات » المشبعة بالفخر والاعتزاز ، أصبحت الآن ترجع صدى صيحة أخرى محملة بالرعب ، فمن وراء الحواجز والاستحكامات الهزيلة التى اقامها الباريسيون أخذ الناس يصرخون « الدبابات قادمة » !

فالقيادة العسكرية الالمانيةالتى أثار حنقها التحدى الذىانطوى عليه ظهور هذه الحوجز ، بدأت تتخذ الخطوات الاولى نحو اعادة النظام الى باريس ، وفقا لما أمر به الجنرال فلد مارشال مودل . والدبابات التى كانت قد قدمت الى ادولف هتلر فى سنة ١٩٤٠ مفتاح باريس ، خرجت من جديد لتملأ شوارعها .

الدبابات التى خرجت من الثكنات الملحقة بقصر لوكسمبورج وبدأت تكتسح الاستحكامات التى احاطتمركز شرطة الحى الخامس الذى احتله رجال المقاومة ، كانت كل منها تربط اثنين منالمدنيين الفرنسيين الى برجها . فقد قدر قائدها ان هذه أفضل وسيلة لحمايتها من قنابل « كوكتيل مولوتوف » التى قد يقذفها بها رجال المقاومة .

ومن ميدان الجمهورية ، غمرت دبابتان شارع فولتير بنيران متقطعة .. فجرت تبحثان عن مكان تحتميان به من قذائفالدبابتين، امرأتان تمسك كل منهما باحدى يدى « سبت غسيل » كبير من القش ملفوف بغطاء مائدة ابيض . ذلك « السبت » كانمملوءا

بقنابل « كوكتيل مولوتوف » . وقد صنعت تلك القنابل المرأتان اللتان كانتا تحملان « السبت » وتسيران به فى شارع فولتير ، وهما كلارا بونتيه زوجة احد النواب الشيوعيين ، وبنتها مرجريت

كانتا بالاشتراك مع غيرهما من سيدات تلك الناحية قد أقمن مصنعا لتعبئة الزجاجات بالموادالتى تحولها الى «كوكتيل مولوتوف» فى نادى السيدات بالحى الحادى عشر على بعد خطوات من المكان الذى كانتا تسيران فيه .. وكان زوجاهما ينتظرانهما وراء نافذة تطل على ميدان الجمهورية ، ليقذفا القنابل علـى الدبابتين اللتين كانتا تطلقان النار على المرأتين الجاريتين .

ولكن لم تكن الدبابات وحدها هى التى كانت تهدد كثيرا من الباريسيين فى ذلك اليوم الذى امتلأ بالغيوم . ففرق اطلاق النار الألمانية كانت تعمل بلا انقطاع داخل سجون باريس ، وتحصـد رجال المقاومة الذين وقعوا بين يدى الالمان ..

وفى أماكن كثيرة من العاصمة ، كان الالمان يسوقون أمامهـم فرنسيين يحملون رفوشا ومعاول ، ليحفروا قبورهم بأيديهم قبل ان يطلق عليهم الالمان النار .

***

النقيب فيرنر ابرناخ خبير المتفجرات الذى كان قدأوفدته برلين الى باريس على رأس سرية من سلاح المهندسين ، كان يذرع بهـو فندق « ميريس » ـ مقر قائدمنطقة باريس ـ فى خطوات عصبية وصبر نافد .

خلال ستة أيام كان رجاله قد أوشكوا على الفراغ من مهمتهم . زرعوا اكثر من اثنى عشر طنا من المتفجرات فى اماكن حساسة فى طول المدينة وعرضها .

معظم المنشئات الصناعية فى باريس وجميع الكبارى ومحطات السكك الحديدية وسنترالات التليفونات وسائر الاماكن ذات الأهمية

الاستراتيجية ، وضعوا الالغام فيها في مواضع تكفل تدميرها تدميرا شاملا .. حتى برج ايفل رمز باريس لم يغفلوا زرع المتفجرات عند قواعده .

وابرناخ ينتظر الآن الأمر ليشرع في تنفيذ أولى عمليات النسف.

لقد انتظر مدة ساعتين فى فندق « ميريس » ان يستدعيه الجنرال فون شولتتز لمقابلته ، ولكن الجزاء الوحيد الذى تلقاه على الجهود التى بذلها ، كان رسالة قصيرة بعث بها قائد منطقة باريس اليه مع ياوره . وكانت تلك الرسالة تبلغه بان عليه ان يستمر فى استعداداته ، وان ينتظر الى حين صدور أوامر أخرى اليه .

ذلك المساء حمل الى باريس بضع قطرات من المطر ، ومعها اشاعة طائشة رفعت الروح المعنوية لسكان باريس بأجمعهم .

عن تلك الاشاعة كتب المؤلف المسرحى اندريه روسان فى يومياته ذلك المساء :

((ان يوما بدأ مشحونا بالخوف ينتهى بالامل . يبدو ان الامريكيين قد وصلوا الى رامبوييه ، غدا سوف يكونون فى باريس))

* * *

كان الامريكيون قد وصلوا الى رامبوييه فعلا ، على بعد ثلاثين ميلا فقط من باريس .. ولكن المؤلف المسرحى اندريه روسان كان قد بالغ فى تقدير عددهم !

فقد كان هؤلاء الامريكيون ثلاثة فقط ، ولم يكن لأى منهم فى الواقع مبرر حقيقى لكى يوجد هناك .

كان أولهم هو الكولونيل « العقيد » دافيد بروس رئيس مكتب الخدمات الاستراتيجية فى فرنسا ، وهو أحد اجهزة المخابرات الامريكية .. ولاشك ان الالمان كان يسرهم كثيرا ان يقع فى أسرهم . وقد أصبح هذا الرجل فيما بعد سفيرا للولايات المتحدة فى المانيا ثم فى بريطانيا ..

وكان الثاني سائق سيارة « جيب » يدعى ردبيلكى

اما الثالث فقد كان مراسلا حربيا •• وكان اســمه ارنست هيمنجواى •

كان ذلك الكاتب الكبير قد قطع عهدا على نفسه منذ مدة بأن يكون أول صحفى أمريكى يدخل باريس عند تحريرها •• وقد جاء الى رامبوييه لتأمين الوفاء بذلك العهد .

وكان أول ما فعله عند وصوله ، هو «تحرير» بار فندق «جران فنير » •• وهو فندق صغير تغطيه الزهور ويؤمه الباريسيون مع نسائهم فى عطلة نهاية الاسبوع • وقد وضع فى البار صندوقا من القنابل اليدوية • وبندقية ، واحسن زجاجة من الكونياك كانت فى الفندق •• وقد قدمها اليه صاحب الفندق تعبيرا عن ابتهاجه بقدومه ، وخريطة طرق من خرائط ما قبل الحرب بدأ يعلم عليها مواقع الالمان فى المنطقة ••

رجال حركة المقاومة الذين اخذوا يتوافدون على الفندق ،اطلقوا على هيمنجواى لقب « كابتين » •• ولكن ما ان تحررت باريس حتى أصبح هيمنجواى يلقب بالجنرال على ألسنتهم • وهكذا حقق هيمنجواى اسرع حركة ترق فى التاريخ العسكرى الفرنسى !!

هؤلاء الامريكيون الثلاثة الذين كانوا المحررين الوحيدين لهذه البقعة التى كان يخرج للصيد فيها ملوك فرنسا ورؤساء جمهوريتها والذين سبقوا اليها بقية جيوش الحلفاء بثمان وأربعين ساعة •• وجدوا انفسهم يواجهون مشكلة محرجة • وجدوا أنفسهم محاطين بعدد كبير من الالمان •

فكلما تلفتوا حولهم ، وجدوا المانيا يتسلل نحوهم لكي يستسلم!

أخذ هيمنجواى من أولئك الألمان سراويلهم ، وعينهم للعمل فى المطبخ •• فى تقشير البطاطس للمجموعة المتزايدة من رجال المقاومة الذين التفوا حوله !



فى منزل الفونس جوج بشارع « بارك مونسورى » اجتمع بعد ظهر ذلك اليوم جميع قادة حركة المقـاومة فى باريس ، ليقرروا مصير الهدنة التى كان قد عقدها القنصـــل السويدى نوردلنج والتى كانت على وشك أن تنهار تماما .

الكسندر بارودى زعيم الديجـــوليين الذى كان قد يئس من استمرار الهدنة قبل ساعات ، أصبح الآن يعتقد ان هناك فرصة لانقاذها .. فانبرى للدفاع عنها فى حرارة .. ســـانده فى ذلك الجنرال جاك شابان ـ دلماس القائد العسكرى لانصار ديجول فى فرنسا المحتلة .

عندما أصر قادة حركة المقاومة الشيوعيون على ضرورة الاستمرار فى الثورة صاح فيهم شابان ـ دلماس قائلا :

ـ انكم تريدون ذبح مئات الألوف من الناس بلا مبرر ..

فرد عليه روجيه فييون اكبر الزعماء الشيوعيين الذين حضروا الاجتماع قائلا فى غيظ :

ـ انى لم أر فى حياتى جنرالا فرنسيا بهذا الجبن .

تكهرب جو الاجتماع الذى كان متوترا منذ بدايته .. ونهض شابان ـ دلماس ليهجم عليه ..

فى تلك اللحظة ، ارتفع فوق الأصوات الغاضبة صوت زجاج ينكسر .

كان المؤلف الديجولى جاك ديبور بريدل قد استخدم حيلة برلمانية قديمة وكسر زجاج احدى النوافذ ليحدث صدمة تعيد الهدوء الى الاجتماع · نجحت الحيلة وشعر المتشاجرون بالخجل وعادوا الى الجلوس فى اماكنهم ·

انبرى رجل غير شيوعى ليرد على شابان ـ دلماس ويفند الحجج التى أبداها تأييدا لفكرة التمسك بالهدنة · كان ذلك الرجل يحمل اسما نبيلا ، قديما قدم فرنسا نفسها · وكان هذا الرجل ـ الكونت جان دى فوجويه ـ قد عاش الأعوام الثلاثة الأخيرة مختبئا فى احد الاحياء الفقيرة التى يفصلها عالم كامل عن الصالونات الفخمة والاناقة اللامعة التى اعتاد الحياة فيها ·

وقد التقى مصادفة بأمه فى احد الشوارع مؤخرا ، فأنزل قبعته فوق عينيه لكى لا تتعرف فيه على ولدها الذى لم تره منذ ثلاث سنوات ·

قال فى صوت هده التعب ، معبرا عن مشاعر الآلاف من الباريسيين العاديين الذين لا يطلبون شيئا غير مقاتلة الالمان مهما بلغت التضحية :

ـ على الاستحكامات ، يجب ان نمحو عار سنة ١٩٤٠ ··

وتبعه فييون ليوجه الضربة الاخيرة القاضية للهدنة ، التى كان بارودي يأمل فى أن ينقذ بوساطتها باريس من الدمار . قال فييون :

ـ ان باريس هى أفضل مدينة فى العالم لحرب العصابات ·
وأضاف :

ـ ان ديجول قد رفض توقيع هدنة سنة ١٩٤٠ ، والشيوعيون لن يوقعوا هدنة الآن لمجرد انه يريد منا ذلك ··

ثم هدد فييون بأن الحزب الشيوعى سوف يملأ جميع جدران باريس بالملصقات التى تتهم الديجوليين بطعن شعب باريس من

الخلف اذا قبلت الهدنة ، وأضاف انه قد بدأ فعـــلا طبع تلـــك الملصقات ٠

تراخى بارودى فى مقعده عند سماع ذلك ٠ انه هدف لعمليـة ابتزاز ، انه لايمكنه مهما كان الثمن ان يترك الشيوعيين يحدثون علنا انقساما فى حركة المقاومة ٠

عند أخذ الأصوات على موضوع الهدنة ، رفضت الهدنة بأغلبيـة صوت واحد ، وكان ذلك الصوت هو صوت بارودى ٠

كانت وحدة حركة المقاومة بالغة الأهمية فى نظره ٠٠ وعندما ووجه بتهديد فيبيون ، شعر انه يجب أن يضع تلك الوحدة حتى فوق سلامة عاصمة بلاده ٠٠

عندما انتهى الاجتماع ، أمسك بارودى بفيبيون وهو ينتحب ، وقال له من خلال دموعه :

ـ ياالهى ٠٠ انهم سوف يدمرون باريس الآن ٠ ان ((نوتردامنا)) الجميلة سوف تنسف وتتحول الى حطام ٠٠

فرد عليه فيبيون فى صلف وقد اسكرته نشوة انتصاره :

ـ وماذا فى ان تدمر باريس ؟٠٠ اننا سوف نتحطم معها ٠٠ افضل لباريس ان تدمر مثل وارسو من ان تعيش تجربة سنة ١٩٤٠ مرة ثانية ٠

***



ربما كانت تلك الليلة المشبعة بالرطوبة هى اكثر ليلة شعر فيها الجنرال فون شولتتز بالوحدة فى حياته ٠

ذلك الجنرال القصير البدين الذى يحمل تجاه مصير باريس فى تلك الليلة مسئوليات اكبر من مسئوليات شارل ديجول او جميع جنرالات الجيش الامريكى ، جلس وحيدا فى ظلام غرفة نومه بفندق « ميريس » يعانى آلام محنة نفسية حادة وأزمة ضمير عنيفة .

بدا له فى تلك الليلة أن كل عالمه المنظم ينهار من حوله ٠ لقد قامر على هدنة نوردلنج وخسر ٠ أما مبلغ خسارته فسوف يعرفه قريبا .. فلا شك أن برلين ومودل قد علموا بأمر مفاوضـــاته مع العدو .

كما انه لم ينفذ أمرا واحدا من الاوامر التى تلقاها من القيادة الالمانية العليا .

فى مكتبه وفى نفس المكان الذى تركت فيه منذ اربع وعشرين ساعة ، توجد الرسوم والتصميمات والخرائط التى وضعها خبراء التدميرالاربعة الموفدون من قبل القيادة العليا ٠ ومع ذلك فحتى مساء هذا اليوم : الحادى والعشرين من اغسطس-بعد مرورأربعة أيام على صدور الاوامر اليه من فون كلوجه بالشروع فى تدمير منشئات باريس الصناعية ، وبعد مرور أكثر من اربع وعشرين ساعة على تكرار يودل بنفسه لهذه الاوامر تليفونيا - فانهلميصدر

بعد الأمر بتدمير مصنع واحد •• بل لقد رفض حتى مقابلة النقيب ابرناخ بعد ظهر اليوم •

انه يدرك أنه أصبح لاول مرة خلال التسعةوالعشرين عاما التى عاشها كضابط المانى ، فى حالة تمرد • وعندما مرت فى ذهنه هذه الفكرة تذكر وجه روبرت لى أول من حدثه عن القانون الجديد الذى يعتبر افراد عائلات القواد الالمان مسئولين عن تقصيرهم •• وتذكر كذلك أن زوجته وبنتيه وطفله الصغير الموضوعة صورتهم بجوار سريره هم أول من ينطبق عليهم هذا القانون •

غمره فى هذه الليلة التى طغى عليه فيها الشعور بالوحدة والحزن، احساس بالعجز ، واقتناع بانه لم يحسن التصرف فى منصبه بباريس •

انه يجب أن يواجه هذه الثورة الآخذة فى الانتشار كالوباء المعدى، وكذلك القيادة الالمانية العليا التى لابد ان تكون الشكوك قد بدأت تساورها حول دوره فى هذه المدينة •• يجب أن يواجههما معا بتأكيد جرىء للسلطة وباستعراض للقوة •

عاد الى ذهنه مرارا اقتراح ضابط الطيران الاحمر الوجه • ان ذلك الاقتراح يمتاز بانه بسيط وسهل التنفيذ • ان المطار والضابط لايبعدان عنه الا المسافة التى بينه وبين جهاز التليفون الموجود بجانب سريره •

وهو نادم الآن على القرار الذى اتخذه بالغاء الهجوم على مبنى مديرية الشرطة ، وكذلك على الغلطة التى ارتكبها بالافراج عن بارودى وزميليه ، ولكنه يستطيع تصحيح الخطأين بواسطة مشروع ضابط الطيران •

قفز واقفا وهو يلعن ويقسم على ان ينفذ المشروع ، وكان الحر قد اشتد فخلع ثيابه كلها باستثناء ملابسه الداخلية ، ومشى نحو نافذته المفتوحة ••

كان الوقت متأخرا ، وهذه المدينة التى اقسم فيها منذ قليل مجموعة من الرجال على شن حرب لا هوادة فيها ضده ، قد عاد اليها الهدوء من جديد . وهو يحسب الآن وهو ينظر الى سمائها المظلمة ثمن اعادة النظام اليها ، بمقدار الدمار الذى ينبغى ان يلحق بها .

وأخذ عنصر جديد يتطرق الى تفكيره .. خلال أعوام عمره التسعة والأربعين كلها لم يشك ابدا فى القيم التى علمته تربيته البروسية اجلالها .. ولكنه أصبح يشك فى هذه القيم الآن

منذ أمضى نصف ساعة قبل اسبوعين فى مخبأ هتلر براستنبورج، كان فون شولتتز قد بدأ يساوره الشك فى أن الرجل الذى اقسم على ان يطيعه طاعة عمياء ، هو رجل مجنون ..

ومنذ ذلك اليوم ايضا ، بدأت حقيقة أخرى ، لاتقل بشاعة عن هذه ، تتسلل الى عقله ..

أصبح يدرك انه لم تعد امام المانيا اية معجزات أخرى ، وان نهاية الطريق الذى تسير فيه هو الهزيمة المؤكدة .

كما ان محادثاته التليفونية خلال الأربع والعشرين ساعة الاخيرة مع يودل رئيس هيئة اركان حرب هتلر ومع مودل القائد العام فى الجبهة الغربية قد اكدت جميعا الشك الذى كان قد بدأ يملأ نفسه ..

ان القيادة العليا لم تبعث به الى باريس للقيام بدور عسكرى . ان الدفاع عن باريس ضد عدو، حتى ولو أدى ذلك الى دمارها، هو عمل عسكرى مشروع . لكن تدمير المدينة عشوائيا لمجرد تحقيق الرغبة فى مسح احدى عجائب اوربا من الوجود ، هو عمل ليس له ما يبرره من الناحية العسكرية .

وقد بدأ يخشى ان يكون تنفيذ ذلك هو ما أوفده هتلر الى باريس من اجله .

اصبح يشك فى ان ذلك المجنون يريده ان يحطم المدينة ثم يجلس فوق رمادها وأطلالها ويتقبل النتائج ..

بين احساسه الغريزى بضرورة اطاعة الأوامر ، وبين نفوره من العواقب الوخيمة التى يؤدى اليها تنفيذ تلك الاوامر .. وجد فون شولتتز نفسه فى دوامة رهيبة .

لقد وجد فون شولتتز فيما قيل له من ان التاريخ لن يصفح ابدا عن الرجل الذى يدمر باريس ، حجة مقنعة .. ولكنه رأى ما هو اكثر اقناعا فى فكرة ان الرجل الذى يفعل ذلك قد يشنق فوق رمادها .

كان فون شولتتز على استعداد لأن يموت كجندى فى باريس ، ولكن ليس كمجرم .

وبدا له أن ليس هناك غير مخرج واحد من المأزق الذى يجد نفسه فيه ، هو أن يتدفق الحلفاء على المدينة، فيعفيه دخولهم اليها من الحمل الكريه الذى يثقل كاهله .

فى النهار كان قد اطلع على حقيقة مذهلة . أخبره الجنرال فون در شيفالرى قائد الجيش الأول انه ينسحب بجيشه جنوبا بناء على أوامر مودل ، من مراكزه السابقة امام باريس . معنى ذلك ان الباب الامامى لباريس اصبح مفتوحا . ولم يعد على الحلفاء الا ان يعدلوا خططهم ليصبح فى امكانهم ان يقتحموا هذه المدينة قبل أن يستطيع هو أو أى أحد غيره وقفهم .

ثم استلقى فون شولتتز على سريره ، وظل يحدق مدة طويلة فى السقف . واخيرا قاده نفس التردد الذى دفعه قبل يومين الى قبول هدنة نوردلنج ، الى ان يقرر منح نفسه مهلة اخيرة . سوف ينتظر اربعا وعشرين ساعة أخرى قبل ان يتصل بضابط الطيران الأحمر الوجه .

***



لم يكن روجيه جالوا يعرف من هو الرجل الامريكى الذى كان سيقابله ، ولكنه استنتج من تصرفات الامريكيين الموجودين معه فى الخيمة انه لابد ان يكون شخصا مهما ·· وكان جالوا الذى استبد به الارهاق قد مر بتجربة مثيرة خلال الساعات القليلة الماضية ·

كان الجنود الأمريكيون الذين قدم نفسه اليهم عند وصوله الى خطوط الحلفاء قد وضعوه فى سيارة «جيب» تلقى سائقها تعليمات بالا يفتح فمه .. وبعد أن سارت به السيارة ساعتين فى صمت، توقفت عند غابة صغيرة ملئته بالخيام ··

هناك تحقق الامريكيون الذين استقبلوه من شخصيته بطريقة اذهلته ، وجه اليه الكولونيل روبرت باول عشرات من الاسئلة فى لغة فرنسية سليمة تماما وفى بساطة متناهية كما لو كان يسأله عن الطقس وليس عن أى شىء اهم · ثم سأله وكأنما يواصل استجوابه الروتينى له عما اذا كان قد التقى ابدا برجل من رجال المقاومة يدعى اندريه دى برابوا ·

تذكر جالوا انه كان قد التقى برجل بهذا الاسم قبل عشرة ايام عند ناصية احد شوارع باريس ··

سأله الكولونيل اذا كان قد رأى هذا الشخص ثانية ·· ففكر جالوا لحظة ، وتذكر انه كان من المفروض أن يلتقى به مرة أخرى، لكن دى برابوا لم يحضر فى الموعد المحدد ، سأله الكولونيل :

ـ لماذا ! !

فأجاب جالوا بأنه لايعرف ٠

عندئذ قال له الكولونيل :

ـ سأريك لماذا لم يحضر !

والتفت الى احد مساعديه وهمس بشيء فى أذنه ٠٠

بعد لحظات دخل الخيمة رجل نحيل يرتدى الملابس العسكرية ٠٠ اندهش جالوا عند رؤية الداخل الى حد ظل معه غير قادر على الكلام لبضع لحظات ٠٠ كان ذلك الرجل هو اندريه دى برابوا ٠

والآن ، دخل الخيمة رجل آخر ٠٠ شعره منكوش وقميصه الكاكى لم يحكم ادخاله فى سرواله ٠ قال ذلك الرجل :

ـ ارجو المعذرة ، لقد كنت نائما ٠

ثم أضاف :

ـ نعم .. انى انصت اليك .. ما هى قصتك ؟

روى له جالوا قصته بكل حرارة وانفعال طبيعته الفرنسية ٠ عندما انتهى من الحديث قال له الامريكى :

ـ اسمع ، انت جندى وانا جندى وسوف ارد عليك كجندى

ثم ابلغ جالوا بأن رده على طلبه هو الرفض ، وذلك لثلاثة أسباب :

أولا ـ لأن هدف الحلفاء هو تحطيم الالمان وليس احتلال العواصم ثانيا ـ لأن حركة المقاومة قد بدأت الثورة دون ان تتلقى أوامر بذلك ، ويتعين عليها بالتالى ان تتحمل النتائج ٠ وثالثا ـ لأن الحلفاء الذين ينقصهم الوقود لايمكنهم ان يتقبلوا المسئولية الأدبية التى ينطوى عليها تموين المدينة ٠

ثم مد له يده مصافحا ، وغادر الخيمة ..

وكانت اللهجة التى تحدث بها الى جالوا قاطعة بحيث لم تترك له مجالا للرد !

كان ذلك الرجل الذى تسبب جالوا فى ايقاظه من نومه هو الجنرال الامريكى جورج باتون .

أحس جالوا الذى كان الامل فى انقاذ باريس من المصير الذى تعرضت له وارسو ، هو الذى اعانه على احتمال مخاطر ومتاعب رحلته ، بأن تلك اللحظة هى اقسى لحظات حياته .

بعد دقائق عاد الجنرال باتون الى الخيمة ، وسأل الفرنسى اذا لم يكن لديه مانع من ان يقوم برحلة جديدة الى مدينة اسمها لافال ، ليقابل هناك جنرالا أمريكيا آخر .

* * *

فى مزرعة تفاح خارج تلك المدينة ، كان هناك فرنسى آخر يعذبه القلق فى تلك الليلة على مصير عاصمة فرنسا . كان يجلس على طرف مرتبة ميدان ، يكتب على ضوء مصباح غاز .

لأول مرة خلال كل الأشهر التى عمل خلالها الكولونيل البير ليبيل كضابط اتصال مع الجيش الامريكى ، يحاول الآن ان يغير قرارا للرجال الذين يعمل معهم ..

على ورقة عادية ، وفى كلمات لاتقل انفعالا فى تعبيرها عن تلك التى استخدمها شارل ديجول ، ختم ليبيل الالتماس الحار الذى وجهه بصفته الشخصية ، هو الضابط الفرنسى غير المعروف ، من أجل عاصمة بلاده . قال :

« اذا كان الجيش الامريكى لن يدخل باريس لنجدتها وهو يراها فى حالة ثورة مسلحة ، فان الشعب الفرنسى لن يستطيع ابدا ان ينسى هذا التجاوز » .

ثم طوى الورقة ووضعها جانبا .

فى اليوم التالى ، كان من المقرر أن يطير قائده الجنرال عمر برادلى للاجتماع بالجنرال ايزنهاور القائد الاعلى للحلفاء . وقد صمم ليبيل على أن يدس هذا الالتماس الشخصى بين الاوراق التى سيحملها برادلى معه الى ذلك الاجتماع .

كان يؤمن ايمانا راسخا بأن الاجتماع سوف يكون ذا أهمية عظمى بالنسبة لتاريخ بلاده . واذا كانت باريس ستنجو من الدمار، فان القرار بالزحف عليها ينبغى ان يتخذ فى ذلك الاجتماع .



في مطار قريب من مدينة هارنجتون بانجلترا ، كان المقدم الطيار الامريكي تشاك هيفلين يرتجف من برد الليل الانجليزي ،وعلى ارض المطار اصطفت الطائرات التي يتألف منها السرب الذي يقوده ،والذي تخصص مع سرب آخر تابع للسلاح الجوي البريطاني في تزويد حركات المقاومة في أوربا بالسلاح . وقد أخذ الجنود التابعون للسرب يملأون الطائرات بلفائف الاسلحة والذخائر التي سوف يجري اسقاطها قريبا بالمظلات فوق أوربا المحتلة .

منذ أول سنة ١٩٤٣ كانت طائرات هذا السرب قد قامت باكثر من ثلثمائة رحلة ، اسقطت خلالها الآفا من اطنان الأسلحة والذخائر ، ومئات من الرجال لقوات المقاومة في فرنسا وبلجيكا وهولندا والنرويج وبولندا . ولكن اغلبية تلك الرحلات كانت اقل صعوبة من الرحلة المقرر ان تقوم بها في الصباح القادم ..

فالرحلة القادمة سوف تتم في ضوء النهار ، وعلى ارتفاع اربعمائة قدم فقط ، فوق منطقة تطوقها المدافع الالمانية المضادة للطائرات ، لتسقط حمولتها فوق اهداف لا تزيد مساحة بعضها عن مساحة ملعب كرة قدم .

لقد نجح « رول » . تقرر تلبية الطلب العاجل الذي وجهه باللاسلكي من اجل الاسلحة . بعد ساعات قليلة ، وبمجرد ان تخفف انوار الفجر الأولى ظلام السماء الانجليزية ، ستقوم مائة

وثلاثون طائرة من طائرات السرب لتلقى بمائتى طن من الأسلحة فى قلب باريس ·· فوق غابة بولونى ، وميدانى السباق فى أوتاى ولونشان ، وساحة الانفاليد ، وميدان الجمهورية ·· وايضا داخل فناء مبنى مديرية الشرطة المحاصرة ·

***

وجد الكولونيل البير ليبيل ــ الرجل الذى كتب الالتماس الشخصى الخاص بباريس عند منتصف الليل ــ فى مواطنه ذى الملابس المتسخة واللحية النابتة الذى نزل من سيارة « جيب » عند خيمة الأمن بمقر قيادة الجنرال عمر برادلى قائد الجيش الامريكى الثانى عشر ، هدية هبطت من السماء · وقال لنفسه : اذا وجد ابدا الرجل المناسب فى المكان المناسب وفى الوقت المناسب ، فهو قطعا هذا الباريسى المنهوك القوى الذى أراه أمامى !

بعد بضع دقائق ، فى الساعة السادسة صباحا ، سوف يلتقى ليبيل برئيسه المباشر البريجادير جنرال ادوين سيبرت مدير مخابرات الجيش الثانى عشر ، وبعد ذلك سوف يطير سيبرت مع الجنرال برادلى الى مقر قيادة ايزنهاور ، وسوف يبحث أولئك الرجال الثلاثة مصير باريس ؟

خلال الساعات الثمانى والأربعين الماضية ، كان سيبرت قد قاوم فكرة اجراء تعديل فى خطط الحلفاء والقيام بزحف فورى على باريس وهذه هى آخر فرصة امام ليبيل لاقناعه بتغيير رايه ·· وقد وجد ليبيل فى روجيه جالوا المحمر العينين والذى ينطق مظهره بالتعب والشقاء ، حجة اقوى من اية حجة يمكن ان يستند هو اليها فى توسلاته ·

جالوا أدرك رغم ما كان يحس به من ارهاق ان رفض الجنرال باتون لطلبه لم يكن ــ رغم ما اتسم به من تصميم ــ نهائيا ·· وعرف انه لا تزال أمامه فرصة أخرى ، فقال لنفسه :

« لم اكن مقنعا بالقدر الكافى فى الليلة الماضية ‥ لكن فى هذه المرة سوف اشرح الوضع على نحو افضل »

وقد عرض قضيته على احسن وجه ممكن ، فعلا ‥ واستطاع صدقه واخلاصه ان يهزا الضباط الامريكيين الذين احاطوا به .

لم يطلب اسلحتهم كما كان قد كلف بان يفعل ، ولكنه طلب جنودهم .

قال :

ـ ان أهل باريس يودون ان يحرروا عاصمتهم بانفسهم وان يقدموها هدية الى الحلفاء ، ولكنهم لايستطيعون اتمام ما بدأوه .

ثم ختم حديثه بقوله :

ـ يجب ان تأتوا لمساعدتنا ، والا فسوف تحدث مذبحة رهيبة يقتل فيها مئات الألوف من الفرنسيين ‥

ساد الصمت برهة بعد ان فرغ من الكلام ، ثم شكره الجنرال سيبرت وبدأ يجمع أوراقه . فى اثناء خروجه من الخيمة قرص ذراع الكولونيل ليبيل فى مودة وقال له :

ـ ان أسدكم النافد الصبر لكلير سوف يحضر اليوم ‥ اعتن به جيدا ‥ ربما تكون لدينا أخبار له هذه الليلة .

ثم اتجه الجنرال سيبرت وأوراقه تحت ذراعه نحو طائرة الهليكوبتر المنتظرة .

كان قد تأثر تأثرا واضحا لما سمعه من جالوا ، واصبح مقتنعا بأن مذبحة مروعة سوف تقع فى باريس اذا لم يدخلها الحلفاء خلال يومين .

عند طرف حرش صغير بالقرب من ميدان القتال فى « فاليز » كان الجنرال ايزنهاور إيضا يفكر فى باريس فى فجر يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من اغسطس هذا ‥

كانت على مكتبه الرسالة التى بعث بها اليه ديجول فى اليوم السابق والح فيها فى طلب تحرير باريس .

كتب ايزنهاور بلا حماسة فى ذيل الورقة التى تضمنت تلك الرسالة ، بضع كلمات موجهة الى الجنرال والتر بيدل سميث رئيس اركان حربه . كانت تلك الكلمات تقول :

« يبدو اننا سوف نضطر الى دخول باريس » .

وقد كان دخول باريس خطوة لن يقدم عليها ايزنهاور الا مضطرا مرغما . فمنذ الآن يتحدث الجنرال جورج باتون فى غضب شديد ثلاث مرات يوميا بتليفون الميدان الى مدير الامدادات والتموين بمقر القيادة العليا ، طالبا المزيد من الوقود .

ولكن على الرغم من الرفض الحازم الذى كان ايزنهاور قد واجه به طلب ديجول منذ يومين ، فانه ظل يفكر فيما قاله الزعيم الفرنسى له ..

كان ايزنهاور يحمل تقديرا كبيرا لديجول .. واذا كان ديجول قلقا بشأن الوضع فى باريس ، فلابد ان هذا الوضع يقلقه هو ايضا

وقد تعلم ايزنهاور من تجارب العامين السابقين ان يقدر حقيقة مؤكدة تتعلق بالرجل الذى يقود الفرنسيين الأحرار . لقد اصبح يعلم جيدا ان ديجول مصمم دائما على الوصول الى ما يريد الوصول اليه . وانه لايسمح لاحد بأن يقف فى طريقه . واذا كان هو سوف يجد نفسه مضطرا الى دخول باريس ، فسوف يكون الفرنسى الصارم ديجول ــ وليس الجيش الالمانى ــ هو الذى سوف يضطره الى ذلك .

قبل ان يشرع القائد الأعلى للحلفاء فى أوربا فى استقبال الزوار المقرر ان يستقبلهم هذا الصباح ، لخص همومه فى برقية قصيرة موجهة الى رئيسه الجنرال جورج مارشال رئيس هيئة اركان حرب القوات الأمريكية المسلحة فى واشنطون ..

قال فى تلك البرقية :

« بسبب التزامات الامداد والتموين التى ينطوى عليها تحـرير باريس ، فانه من الأفضل تأجيل الاستيلاء عليها الى ان يتم تحقيق الهدف الهام المتمثل فى تحطيم قوات العدو فى المنطقة الممتدة الى بادى كاليه »

ولكنه اضاف ان هذا التأجيل قد لايكون ممكنا •

واستطرد قائلا :

« انه ينبغى فى حالة ما اذا تم تحرير باريس قريبا ، ان يسمح لديجول بعد ذلك ببضعة أيام بأن يدخل المدينة رسميا »

وكانت فكرة ايزنهاور هى ان يباح لديجول دخول باريس ضمن موكب مشترك للحلفاء بعد ان تكون جيوشه قد ابعدت الالمان من العاصمة مسافة مناسبة •

وكانت جريدة « ديلى هيرالد » اللندنية قد نشرت صباح ذلك اليوم نفسه خبرا اسندته الى مراجع دبلوماسية عالية وقالت فيه ان فرانكلين روزفلت ونستون تشرشل سوف يدخلان باريس على رأس موكب النصر بعد تحريرها بمدة قصيرة ، واضافت انه « ربما » يترك لديجول مكان الصدارة فى ذلك الموكب •

وكان ايزنهاور يعتقد ان بقاء ديجول فى باريس بعد اشتراكه فى موكب النصر ، أمر غير وارد ، اذ كان قد ابلغ بان ديجـول موجود فى فرنسا فى جولة تفتيشية مؤقتة فقط •• والاتفاقيـة الفرنسية ـ الامريكية بشأن الشئون المدنية لم يكن قد تم توقيعها بعد ، وان كانت واشنطون قد وافقت عليها من حيث المبدأ فى يوليو •

ومثلما كان البريجادير ـ جنرال جوليوس هومز نائب ايزنهاور للشئون الادارية يعلم ، فان احدا من خبراء وزارة الخارجيةالامريكية

الذين كانوا يدرسون تلك الاتفاقية لم تكن لديه أية نية فى السماح لديجول بنقل مركز حكومته من الجزائر الى باريس فى المستقبل القريب ٠

كانوا يفترضون ان ديجول سوف يعود الى الجزائر فى هـدوء ، وانه سوف يسمح له بعد ذلك بنقل اعماله تدريجيا من الجزائر الى احدى المدن الفرنسية الكبيرة تمهيدا لنقلها الى باريس فى النهاية ، على الا يتم ذلك الا بعد ان تعترف الحكومة الامريكية رسميا بحكومته « على اساس الأمر الواقع » وبعد ان يكون الألمان قد طردوا من معظم الاراضى الفرنسية ٠

وكان ديجول يعرف جيدا تحفظات حلفائه ٠ ولم يكن فى نيته فى هذا الصباح الدافىء وهو جالس فى مكتبه المؤقت بمبنى بلدية « لومانس » ان يترك ايزنهاور ، أو اى شخص آخر « يسمح» له بدخول باريس دخولا رسميا ٠ كان ينوى الذهاب الى باريس مـع أول قوات للحلفاء تدخلها وان يبقى هناك ، وكان قد قرر عـلاوة على ذلك ان الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية سوف تكون فى طريقها الى باريس بعد ساعات قليلة ، سواء اعجب ذلك ايزنهاور أم لم يعجبه وسواء تم ذلك بناء على أوامر صادرة اليها من القائد الأعلى للحلفاء أم منه هو شخصيا ٠

كان من المستحيل ان يقبل ديجول دخول عاصمة بلاده فى رعاية حلفائه ٠ كان ينوى دخولها وحده بصفته شارل ديجول رئيس فرنسا الحرة ٠ وبعد ذلك سوف يرحب بالحلفاء فى عاصمته ٠

وكان حتى قد اصدر تعليماته الى ياوره بان يبحث له عن سيارة فرنسية لهذه المناسبة ، فصادر الياور فى الليلة الماضيـة سيـارة فخمة من طراز « هوتشكيس » يملكها رجل اعمال سويسرى فى مدينة « رين »

فى تلك السيارة الفرنسية ، التى سوف يقودها سائق فرنسى ، وفى حراسة جنود فرنسيين ، كان ديجول ينوى ان يدخل باريس.

ومثلما كان قد تعمد الا يبلغ حلفاءه بان « زيارته » لفرنساسوف تكون دائمة ، فقد اغفل الآن ابلاغهم بحقيقة أخرى ، هى حقيقة انه لاينوى مغادرة باريس بعد ان يكون قد دخلها •

بالنسبة لديجول ، كان دخوله الى باريس هو الخطوة الأولى فقط فى سلسلة سريعة من الخطوات الرامية الى تثبيت حكومته المؤقتة فى باريس ، سواء اعترفت بها أمريكا أو لم تعترف

ولادراكه معارضة الحلفاء لمثل هذه الخطوة ، فقد قرر هذا الصباح الا يسمح لأية مناورة دبلوماسية تقوم بها أمريكا فى اللحظة الاخيرة بأن تحبط مشروعاته •

ابلغ مساعديه بان مكان وجوده بالتحديد ينبغى الا يكون معروفا لحلفائه منذ هذه اللحظة ، وان الحلفاء يجب الا يمكنوا من الاتصال به اتصالا مباشرا لأى سبب من الأسباب •

***

تلقى المطار الانجليزى الذى كانت تستعد فيه الطائرات لالقاء الأسلحة والذخائر فوق باريس ، مكالمة تليفونية من لندن تبلغه بان العملية قد تأجلت الى الغد •

كان الجنرال بيير كونيج قائد قوات ديجول داخل فرنسا المحتلة قد قرر ـ مثلما فعل الجنرال فون شولتتز فى باريس ـ منح نفسه مهلة مدتها أربع وعشرون ساعة ••

بالنسبة له ولسائر رجال قيادة فرنسا الحرة فى لندن ، كانت عملية اسقاط اسلحة على باريس تبدو منطوية على مخاطرة مخيفة • انها قد تؤدى الى تعريض الباريسيين الذين سوف يهرعون لالتقاطها الى مذبحة ، وكثير من هذه الأسلحة سوف يقع فى يد الالمان ••وقبل

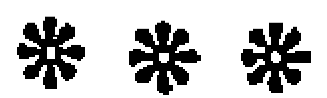
ذلك ، كانوا يعرفون ان معظم هذه الأسلحة سوف يقع فى ايدى خصوم ديجول الشيوعيين ٠

طوال السنوات الثلاث التى تولت خلالها هذه القيادة توجيه حركة المقاومة فى فرنسا المحتلة من لندن ، لم يكن هناك أمر حظر تطبقه بالصرامة التى طبقت بها أمر حظر اسقاط الأسلحة بالمظلات فوق المدن والمناطق التى يمكن أن تقع فيها كميات كبيرة من هذه هذه الأسلحة فى ايدى الشيوعيين ٠ ولم يكن من السهل التجاوز عن هذا الحظر فى الأسابيع الاخيرة لمعركة تحرير فرنسا ، من أجل عملية سوف تمطر الأسلحة على منطقة تعد من أكبر مراكز تجمع الشيوعيين فى فرنسا ٠

ومع ذلك ، فعلى الرغم من عدم موافقة كونيج ورجاله على ثورة باريس ، وترددهم فى الشروع فى عملية اسقاط الأسلحة ٠٠ فانه لم يكن فى وسعهم أن يقفوا جانبا ويتفرجوا على مواطنيهم وهم يقاتلون دبابات الالمان فى شوارع باريس بالمسدسات والبنادق القديمة ٠

وفى دوامة من الشكوك والمخاوف ، كان كونيج قد قرر اسقاط الأسلحة ٠٠ ثم عاد وقرر الانتظار يوما آخر ٠

فعل ذلك وهو يقسم بأنه اذا لم تتم السيطرة على الثورة خلال الأربع والعشرين ساعة هذه ، فسوف يسقط الافا من قطع الأسلحة على أسطحه باريس ، مهما كانت النتائج السياسية ٠





في باريس .. تجدد القتال بعد الفجر في حدة متزايدة في طول المدينة وعرضها .

هاجمت الدبابات الالمانية عددا من المباني العامة التي كان رجال المقاومة قد احتلوها ، وأجبرت محتليها على الهرب منها . تمكن عدد من الفدائيين من التسلل الى بعض الدبابات ، واستطاعوا ان ينسفوها بواسطة القاء قنابل « كوكتيل مولوتوف » في داخلها . دفعوا جميعا حياتهم ثمنا لهذه العمليات الانتحارية .

على الضفة اليسرى من نهر السين أصبح رجال المقاومة هم سادة الموقف في الأزقة الملتوية المتعرجة التي تتجه من النهر الى شارع سان جرمان . فلم يجرؤ الماني واحد على دخول تلك الأزقة، كما كانت أضيق من ان تدخلها دبابة .

عند محطة ليون واجهت سيارة نقل ألمانية محملة بالجنود كمينا لرجال المقاومة ، فتراجعت بسرعة ودخلت احد المقاهي ، الزبائن الذين كانوا في المقهى اخذوا يضحكون من ورطة الألمان ، فقتلهم الالمان جميعا .

فناء مبنى مديرية الشرطة تراكمت فيه السيارات الألمانية التي استولى عليها الثوار ، ودهنوها بالاحرف الأولى من اسم حركة المقاومة .

لم يمهل الوقت اعوان الكسندر بارودى لكي يتذوقوا على مهل طعم النجاح الدراماتيكي الذي احرزته « عملية الاستيلاء على الحكم » في اليوم السابق .

كانوا قد عقدوا وفقا لخطتهم جلسة لمجلس وزراء شارل ديجول في مقر رئيس الوزراء • تولت كلير خطيبة ايفون موراندا تسجيل محضر تلك الجلسة ، ثم تلت بعد انتهائها بيانا على مندوبي الصحف الباريسية الذين تجمعوا في الخارج •

والآن وبينما خصومهم يركزون جهودهم في شن ثورتهم المسلحة، أخذ رجال بارودي يستقرون في مباني الوزارات الرئيسية التي لم يكونوا قد احتلوها بالأمس •

وقد نزلت رتبة ايفون موراندا • فبعد ان كان قد احتل بالأمس مقر رئيس الوزراء ، كلف اليوم باحتلال وزارة الداخلية •

في « الأوتيل دي فيل » مبنى بلدية باريس الضخم ، كان خصوم بارودي قد شرعوا في اقامة حصن لهم في مقابل حصن الديجوليين في مبنى مديرية الشرطة •• لقد احتلوا مبنى البلدية منذ ثمان واربعين ساعة ، وتعرضوا فيه لهجمات عنيفة من جانب الالمان اشتركت فيها الدبابات •

أما ملايين الباريسيين العاديين ، فقد حمل اليهم هذا اليوم الرابع من أيام القتال تهديدا بشعا جديدا ، هو تهديد الجوع • لم يكن في الأفران دقيق ولا حطب • والأفران القليلة التي كان لايزال بها بعض الدقيق ، لجأت الى قطع اشجار غابة بولوني لاستخدامها في صنع الخبز •

واعلن وزير التموين المؤقت الذي نصبه بارودي لمجموعة حزينة من الرجال التفت حوله ، انه اذا لم تستطع سيارات النقل الخروج من باريس في موعد قريب ، فان المجاعة سوف تعم باريس في نهاية الاسبوع •

لكن أحدا من ابناء باريس الجوعى ، لم يتلق في هذا اليوم مفاجأة كتلك التي تلقاها بول باردو ، سائق سيارة النقل الذي كان يسرق

المواد التموينية لحركة المقاومة ، والذى أسره الألمـــان فى قصر لوكسمبورج ٠٠

رقيب « الميس » الألمانى البدين فرانز الذى دأب على ان يعلنه عشرات المرات يوميا منذ اعتقاله بأنه سوف يعدم غدا ٠٠ والذى استخدمه كمساعد له فى مطابخ القصر ٠٠ قدم له « وجبة وداع » أعدها بنفسه ، ليأكلها قبل أن يواجه فى الغد فرقة اطلاق النار التى سوف تتولى اعدامه ٠

وكانت تلك الوجبة تتألف من « الرندربراتن » ٠٠ صنف الطعام الذى تخصصت فيه مدينة فورتمبرج الالمانية ٠٠ بلده الأصلية!

***



تساءل قنصل السويد العام راوول نوردلنج بينه وبين نفسه عما يبحث عنه الجنرال ديتريش فون شولتتز فى الدولاب الصغير الذى وراء مكتبه ·· فلم يكن قد رآه يفتح هذا الدولاب فى حضوره من قبل ··

أخرج الجنرال زجاجة وكأسين من الدولاب ، ثم مال نحوه فوق مكتبه وهو يبتسم متخابثا ، وقال :

ـ لاتخبر الانجليز ·· انى أنوى شرب كأس من الويسكى !

ودعا القنصل الى مشاركته الشراب ·

قال نوردلنج لنفسه وهو يرى فون شولتتز يبتسم لأول مرة منذ تعرف به : لاشك أن هذا الالمانى القصير ، شخصية غريبة !

وسأل نفسه فى حيرة : ترى هل دعاه فون شولتتز الى الحضور الى مكتبه ، حتى أنه عرض أن يرسل اليه سيارة مدرعة لتقله الى فندق « ميريس » ·· لمجرد أن يقدم له كأسا من الخمر ؟!

صب فون شولتتز كأسين ، ثم رفع كأسه وهو يتمتم : « فى صحتك » وشربه مرة واحدة ·

اعتدل فى جلسته بعد ذلك ، وظل ينظر الى الدبلوماسى السويدى لحظة ، ثم قال :

ـ ان هدنتك ياسيدى القنصل العام لم تنفع فيما يبدو ··

وقبل ان تتاح لنوردلنج فرصة الرد عليه استطرد قائلا وفى صوته رنة مرارة : ان الفرنسيين الثلاثة الذين أفرج عنهم يوم الأحد ، لم يفعلوا شيئا يبرر ما فعله من أجلهم .. فالثورة تزداد انتشارا يوما بعد يوم .

تنهد نوردلنج وقال : انه لايوجد فى الحقيقة غير رجل واحد يطيعه جميع رجال المقاومة ، هو الجنرال ديجول .

واستطرد قائلا ان ديجول غير موجود فى باريس بطبيعة الحال، وانما فى مكان مافى نورماندى ـ على الارجح ـ مع الحلفاء ..

عاد شولتتز ينظر الى القنصل .. ثم قال فى صوت هادىء ونبرات واضحة :

ـ لماذا لايذهب أحد لمقابلته هناك ؟..

بوغت نوردلنج بهذا السؤال الى حد لم يعرف معه بماذا يرد عليه وسأل نفسه : ترى هل يمزح شولتتز ، أو هل هو حقا يقترح عليه ايفاد رسول الى قيادة الحلفاء ؟!

وأخيرا سأل شولتتز اذا كان مستعدا لأن يصدر تصريحا يبيح لحامله أن يخترق الخطوط الألمانية لكى يستطيع أن يصل الى الحلفاء.

فرد عليه فون شولتتز بقوله :

ـ لم لا ؟!

ازدادت دهشة نوردلنج وحيرته .. صمت لحظة ثم دفع كأسه الفارغة عبر المكتب نحو الجنرال وهو يقول انه مستعد بوصفه دبلوماسيا تابعا لدولة محايده ان يذهب فى مهمة الى الحلفاء ، اذا توفر له جواز مرور يمكنه من ذلك ..

هز فون شولتتز رأسه بالموافقة ، ولكنه لم يبد اهتماما كبيرا بما

عرضه عليه نوردلنج ·· فأيقن القنصل السويدى ان فى ذهن الجنرال الألمانى شيئا آخر ·

وضع الجنرال كأسه على المكتب بعد برهة ، وأخرج من جيب سترته ورقة زرقاء فتحها ووضعها أمامه ·

قال لنوردلنج ان هذه الورقة تتضمن أمرا ــ هو واحد من عدة أوامر ــ تلقاها خلال الايام القليلة الماضية ·· وأضاف انه كان من المفروض فيه الآن ان يكون قد بدأ تنفيذ برنامج التدمير المنظم الذى تطالب هذه الأوامر بالشروع فيه ·

ثم ذكر زائره بانه على الرغم من الضغط المستمر الموجه اليه من القيادة العليا الألمانية ، وعلى الرغم من الحاح هتلر عليه بان يتخذ اجراءات قاسية لقمع الثورة حتى ولو أدى ذلك الى تدمير اجزاء كبيرة من المدينة ، فانه قد فضل ان يجرب الهدنة التى اقترحها عليه ·

واستطرد قائلا ، ولكن هذه الهدنة فشلت ، وأصبح مضطرا الآن الى أن ينفذ الأوامر الصادة اليه ·

ومضى فون شولتتز يقول للقنصل الذى جلس صامتا امامه والذى اخافته كلماته ، انه سوف يتعين عليه فى القريب العاجل ان ينفذ الأوامر ، والا فسوف يعفى من قيادته ·

ثم مال الى الامام وقال لنوردلنج وهو يتحدث فى بطء ، وفى لهجة توحى بخطورة ما يقوله ·· ان الشىء الوحيد الذى يمكن ان يمنع تنفيذ تلك الأوامر ، هو وصول الحلفاء بسرعة الى باريس ·

بعد ذلك اضاف فى صوت خافت :

ــ لابد ان تدرك ان اقدامى على قولى هذا لك ، يمكن ان يفسر على انه خيانة ·

ساد الصمت والتوتر للحظات غرفة مكتبه ظهر ذلك اليوم الدافىء ·· ثم مضى يقول وهو يختار بدقة كل كلمة تخرج من فمه ·

ـ لأن ما افعله فى الحقيقة ، هو انى ادعو الحلفاء لمساعدتى ..

أدرك نوردلنج خطورة كل كلمة قالها له الجنرال فون شولتتز .. كما أدرك فى الوقت نفسه برد الفعل الغريزى الذى ربته فيه السنوات الطويلة التى قضاها فى العمل الدبلوماسى ، أن كلامه هو لن يكون كافيا لاقناع الحلفاء بصحة ما سمعه الآن ..

فسأل فون شولتتز اذا كان مستعدا لاعطائه رسالة مكتوبة للحلفاء ؟

نظر اليه الألمانى فى دهشة وقال :

ـ لا يمكن ابدا ان أسجل على الورق ما قلته لك ..

ثم كتب لنوردلنج الوثيقة الخطية الوحيدة التى كان مستعدا لان يعطيها له .. وكان نصها :

((ان قائد منطقة باريس الكبرى يصرح للقنصل العام للسويد ر. نوردلنج بأن يغادر باريس وخط الدفاع عنها)) .

أخذها منه نوردلنج الذى ظهر العرق على جبهته لفرط انفعاله ، ثم طلب منه أن يعطيه ضمانا آخر يؤمن له المرور من الخطوط الالمانية ..

فأشار عليه فون شولتتز بان يصطحب معه ضابط المخابرات الألمانى ((بوبى)) بندر حتى آخر المواقع الألمانية . كما وافق الجنرال بعد تردد طويل على ان يكرر تعليماته شفويا بواسطة التليفون ،فى حالة ما اذا وجدا صعوبة فى المرور .

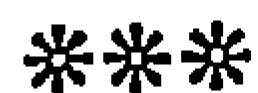
بعد ذلك نهض شولتتز ليوصل نوردلنج حتى الباب . كان يحس بأن حملا ثقيلا قد ارتفع عن ضميره ..

لقد عثر على وسيلة لتنبيه الحلفاء الى الخطر الذى يهدد باريس . وكان يأمل فى ان يجعلهم يدركون ان الطريق الى باريس مفتوح ،فى

الوقت الحاضر على الأقل ٠٠ أما الى متى يظل هذا الطريق مفتوحا، فهو لايدرى ٠ فلو وصلت التعزيزات التى وعد بها قبل ان يصل الحلفاء ، فان شرفه كجندى سوف يحتم عليه ان يحاول اغلاق الطريق بنفسه ، وان يدافع عن باريس فى معركة شوارع معطلة ومدمرة ٠ لكن الحلفاء قد أنذروا ٠٠ واذا لم يتحركوا فى الوقت المناسب على اساس هذا الانذار ، فانهم ــ وليس هو ــ الذين ستقع عليهم امام التاريخ مسئولية النتائج المترتبة على ذلك ٠

عند الباب ، امسك بيد نوردلنج بشدة وهو يقول :

ــ تحرك بسرعة ٠٠ ان كل مالديك هو اربع وعشرون ساعة أو ثمان واربعون ساعة على الأكثر ، أما ما سوف يحدث هنا بعد ذلك ، فليس فى امكانى ان اضمنه لك ٠





خلال الخمسة والثلاثين عاما التى قضاها نوردلنج فى العمــل السياسى ، نادرا ما كان قد واجه مهمة معقدة كهذه ٠

ان عبور الخطوط الألمانية شيء ، واقناع ديجول والحلفاء بدقة وصدق روايته شيء آخر ٠٠

قال لنفسه أنه اذا أراد أن تكون لديه أية فرصة للنجـــاح فى مهمته ، فينبغى ان يصطحب معه اشخاصا معروفين للحلفاء ٠ومن غير ان يبلغ فون شولتتز بما ينوى عمله ، قرر ان يصحب معــه شخصين آخرين هما : الكسندر دى سانت فال أمين صندوق الديجوليين فى باريس ، وجان لوران الذى كان قد عمل مع ديجول فى وزارة الدفاع فى سنة ١٩٤٠

وكان فى تقديره أن وجود هذين الشخصين معه سوف يساعده على اقناع ديجول ٠

لكن هذين الرجلين لم يكونا الوحيدين اللذين اضيفا الى البعثة٠٠

ففى منتصف بعد الظهر ، وبينما كان نوردلنج ينتظر تقريرا من سانت فال عن أفضل طريق يوصله الى خطوط الحلفاء ، سمــع جرس باب القنصلية يرن ٠٠ وفى انتظاره بالباب وجدعملاقا أزرق العينين بدأ الصلع يزحف فى رأسه ٠

قال له الطارق ان اسمه « ارنو » وانه يمثل الصليب الأحمر ، وطلب ان يسافر معه ٠ أضاف أن وجوده فى البعثة قد يساعدها على اجتياز خطوط الألمان ٠٠

اندهش القنصل السويدى وغضب ٠٠ ففى عالم الدول المحايدة الصغيرة ، كانت الغيرة تلعب دورها ٠ ولم يكن نوردلنج يرى داعيا لأن يقحم احد من الصليب الأحمر نفسه على مهمته ٠

والأهم من ذلك ٠٠ هاله ان تكون انباء رحلته قد تسربت ٠

قال لأرنو فى كلمات واضحة جافة انه لايوجد له مكان فى هذه الرحلة ، كما انه لاتوجد حاجة اليه ٠ ولكن سانت فال الذى وصل فى تلك اللحظة ، توسط فى الموضوع ٠٠ وأصر على أن يسافر أرنو معهم ٠ فوافق نوردلنج فى النهاية مرغما ٠

بعد ذلك بأسابيع ، عرف نوردلنج من هو أرنو هذا فى الحقيقة ٠

لقد ضم الى البعثة التى صرح بسفرها قائد منطقة باريس الالمانى ـ دون أن يدرى ـ رئيس المخابرات البريطانية فى فرنسا ! ٠

فلم يكن أرنو الا الكولونيل كلود أوليفير الذى كان الحلفاء قد بعثوا اليه منذ حوالى الثلاثة اسابيع برسالة سرية يخطرونه فيها بانهم ينوون تخطى باريس فى زحفهم نحو المانيا ، ويطلبون منه تبعا لذلك منع قيام ثورة مسلحة ضد الالمان فى باريس ٠

ولكن نوردلنج كان يعرف الزائر الآخر الذى طرق بابه بعد ذلك دون دعوة ، وهو الضابط النمساوى الطويل أريك بوش ـ باستور الذى كان قد قاده الى « بوبى » بندر منذ عشرة أيام ٠

وكان القنصل يشك فى أنه من رجال المخابرات الألمانية ،وكان يشك اكثر من ذلك فى ان شولتتر قد كلفه بمراقبته منذ اسبوع ٠

كان استنتاج نوردلنج صحيحا ، فى جزء منه فقط ٠٠ فقد كان بوش ـ باستور رجل مخابرات فعلا ، ولكنه لم يكن يعمل فى المخابرات الالمانية ٠ كان يعمل فى خدمة المخابرات البريطانية ، وكان على صلة وثيقة بحركة المقاومة السرية فى فرنسا ٠ وكان من

بين المعلومات الهامة التى نقلها الى الحلفاء بعض الرسوم المسروقة الأولى للصاروخ الالمانى «ف١» ٠

قال بوش ـ باستور ، الذى جاء فى ملابس مدنية ، للقنصل ان شولتتز قد كلفه بمرافقة البعثة ٠٠ فوافق نوردلنج الذى كان ينظر اليه على أنه رقيب عليه ، فى امتعاض واضح (×)

لم يبق بعد ذلك غير مفاجأة غير سارة اخيرة للقنصل السويدى فى ذلك اليوم المشحون بالمفاجآت ٠٠

بينما كان يراجع آخر الترتيبات الخاصة بالرحلة ، احس بألم حاد يطوق صدره ، فسقط على ركبتيه وهو يكافح من اجل ان يتنفس ٠٠

ذلك الرجل الذى اختير لنقل تحذير فون شولتتز اليائس الى الحلفاء على بعد ستين ميلا ، لم يعد يستطيع ان يجر نفسه بضع خطوات ليستلقى على سرير ٠ كان قد اصيب بنوبة قلبية ٠

بعد نصف ساعة من اصابته بالنوبة ، وبينما كان يرقد فيمايشبه الغيبوبة فى دار القنصلية ٠٠ تحركت سيارته « الستروين » السوداء متجهة الى فرساى ٠ كانت رسالة فون شولتتز فى طريقها الى دوايت ايزنهاور ٠

فى السيارة كان اثنان من الديجوليين ، واثنان من رجال مخابرات الحلفاء لم يكن اى منهما يعرف الآخر ، وقنصل سويدى مزيف٠٠

فقد أرسل راوول نوردلنج فى مكانه الرجل الوحيد الآخر فى باريس الذى يمكن أن يقوم بالمهمة بدلا منه ، والذى ينطبق عليه

(×) عندما سأل المؤلفان الجنرال فون شولتتز عن هذه الواقعة ، بعد مرور عشرين سنة عليها ٠٠ انكر فى غضب انه أمر بضم بوش ـ باستور الى بعثة نوردلنج ، وقال ان الضابط النمساوى انما ادعى ذلك كذبا ليقحم نفسه على البعثة ٠

اسم « ر • نوردلنج » الذى كتبه فون شولتتز بخط يده فى تصريح المرور •

كان ذلك الرجل هو أخوه رولف •

***

بعد خمس واوبعين دقيقة ، وبعد المرور بثلاث نقط طرق المانية انسابت السيارة عبر قرية سان سير وسارت بين الحقول الخضراء فى اتجاه مدينة شارتر والخطوط الامريكية •• ووراءها كانت سيارة « بوبى » بندر •

خارج قرية « تراب » التى تلتقى عندها عدة طرق ، قفز من المنخفض المجاور للطريق رجل شبه عار يرتدى لباس الاستحمام وخوذة الجنود الألمان ، ولوح للسيارة ان تقف بمدفع رشاش كان يحمله • ادخل مدفعه من نافذة السيارة التى كان يجلس بجوارها سانت فال وسأل :

ــ ماهذا ؟

لم يستطع سانت قال الذى كان يقود السيارة أن يرد عليه • ولكنه رأى وراءه بين مجموعة من الأشجار ثمانى دبابات • فقال فى نفسه : لقد ضعنا !

لكنه ما لبث ان استيقظ من الذهول الذى سببه له الرعب على صوت بوبى بندر وهو يصيح بالألمانية فى الجندى ••

خرج من موقف الدبابات نقيب من فرق الصاعقة يرتدى ملابس الميدان ، وتقدم من السيارة •

صاح فيه بندر : « هايل هتلر » • واعطاه الأوراق التى تثبت انه من ضباط المخابرات الألمانية • ثم أخذ بندر من سانت فال تصريح المرور الذى كتبه فون شولتتز وقدمه ايضا لضابط الصاعقة •

أعاده ضابط الصاعقة فى حركة عنيفة سريعة الى بندر وهو يقول :

— لا يهمنى بالمرة أى الجنرالات هـو الذى وقعه ، فمنذ العشرين من يوليو توقفنا عن اطاعة جنرالات الجيش «*»

أسقط فى يد بندر لحظة .. ثم انفجر غاضبا بعد ذلك . اتدهش ضابط الصاعقة لعنف رد الفعل الذى ابداه بندر ، ووافق أخيرا على أن يتصل تليفونيا بمقر قيادة منطقة باريس ، ليلتقى منها التعليمات .. ابتعد ومعه بندر تاركين سانت فال وزملاءه غارقين فى صمت قلق لا يقطعه الا صوت الصلاة الهامسة التى كان يرددها رجـل الصليب الأحمر الجالس فى مقعد السيارة الخلفى وفى يده مسبحة سوداء .

بعد ساعة عاد الرجلان . كان بندر قد لعب دوره جيدا . استطاع أن يأتى الى التليفون بالرجل الوحيد فى مقر قيادة منطقـة باريس الذى كان يعرف امر البعثه . وقد قال فون شـــولتتز فى صـوت غاضب لضابط الصــــاعقة العنيد انه اذا لم يترك حـاملى تصريحه يجتازون خطوطه ، فانه سيحضر بنفسه ليشرف على تنفيذ ذلك .

أشار ضابط الصاعقة الى سانت فال بأن يمضى .. بينمـا وقف بندر يراقب السيارة وهى تبتعد .

لقد انتهت مهمته ..

لكن ما كادت السيارة تلتقط بعض السرعة ، حتى قفز نحوها المانى آخر من المنخفض المجاورللطريق وهو يصيح بالألمانية (الغام .. الغام) !

(*) المعروف أن فرق الصاعقة كان لها كيانها الخاص ، وقيادتها المســتقلة من قيادة الجيش . أما ٢٠ يوليو فهو التاريخ الذى اكتشفت فيه المؤامرة التى دبرهـا عدد من قواد الجيش الالمانى لاغتيال هتلر .

على بعد ثلاث أقدام فقط من المكان الذى وقفت فيه السيارة ، كان أول لغم فى حقل الغام كبير زرعت ألغامه بعنـاية • واى من هـذه الالغام كان كفيلا بأن ينسف السيارة بمن فيها ، ومعهم الأمل الذى كان يبدو أن مصير باريس يتوقف عليه •

اخرج الألمانى ورقة من جيبه واخذ يدرسها أمام السيارة ، ثم أشار الى سانت فال بأن يتبعه • وظل يسير وعيناه مركزتان فى حذر على الطريق فى خط متعرج لمدة خمس وثلاثين دقيقة والسيارة من خلفه • وأخيرا رفع الالمانى رأسه واعاد الورقة الى جيبه ، وقال وهو يشير بيده نحو الغرب :

ـ الامريكيون على بعد خمسمائة متر ••

***

٢٤

كان الرجل الذى يسميه رؤساؤه الامريكيون « الأســد النافد الصبر » الجنرال جاك لكلير ــ يقطع أرض المطار المغطاة بالحشائش المجاورة لمقر قيــادة الجيش الامريكى الثـانى عشر ، فى خطوات عصبية ، وكان يسير وراءه فى صمت واحترام روجيه جـالوا ، الرجل الذى أرسله الى الحلفاء الكولونيل رول القائد الشيوعى لحركة المقاومة فى باريس ٠

ان الجنرال عمر برادلى قائد الجيش الامريكى الثانى عشر لم يعد بعد من اجتماعه مع الجنرال ايزنهاور ٠٠ وبعد دقائق قليلة ــ ربما بعد ربع ساعة أو ثلث ساعة ــ سوف يضطر لكلير الى مغادرة هذا المطار ليطير عائدا الى مقر قيادة فرقته ٠

فى أول الأمـــر ، كان جالوا يتحدث الى لكلير ٠٠ ولكن حديث الجنرال انتهى عند جملة واحدة اخذ يرددها مرارا وهى :

ــ يجب أن احصل على الأوامر الليلة ٠٠

توقف لكلير عن السير عند سماع صوت طائرة وركز نظره فى السماء ، وعندما هبطت الطائرة الهليكوبتر جرى نحوها بينما كان محركها لايزال دائرا ٠٠

صاح فيه من داخلها الجنرال ادوين سيبرت قائلا :

ــ لقد كسبت !٠٠ لقد قرروا ارسالك الى باريس رأسا ٠

قبل ذلك بقليل كان سيبرت قد اطلع برادلي وايزنهاور في خيمة إجتماعات القائد الأعلى للحلفاء على المعلومات التي زوده بها جالوا في الصباح . وكان ايزنهاور قد عبس ، وتنهد .. ثم التفت الى برادلي وقال :

ـ ماذا نفعل !.. اعتقد انه يجب ان ندخل باريس ..

هبطت وراءهم الآن طائرة هليكوبتر ثانية نزل منهـا الجنـرال برادلي . نادى لكلير وجالوا ثم قال لهما :

ـ لقد تقرر دخول باريس ، ونحن الثلاثة نشترك في مسئولية هذا القرار . انا ، لأنني اصدرت الأمر بذلك ، وانت يا جنرال لكلير، لأنك ستنفذ هذا الأمر ، وانت يا « رائد » جالوا لأن المعلومات التي حملتها الينا كان لها دور كبير في اتخاذ القرار .

هذا الرسول الذي اقتنع قبل ليلتين في فيلا يسقط عليها المطر بأن يتجاهل تعليمات رئيسه الشيوعي وبأن يطلب من الحلفاء قوات وليس أسلحة ، قد نجح في تحقيق ما لم يستطع شارل ديجول نفسه أن يحققه . بفضله سوف تتحرك قوات الحلفاء بعد ساعات نحو عاصمة فرنسا المهددة .

ثم التفت برادلي الى لكلير وقال له في صوته العالي الرنان :

ـ أريدك ان تتذكر شيئا واحدا فوق كل شيء .. انا لا أريد اى قتال في باريس نفسها . هذا هو امري الوحيد اليك . يجب الا يدور قتال عنيف في باريس مهما تكلف الأمر ..

جرى لكلير نحو الطائرة الهليكوبتر الخاصة به .. فصاح برادلي وراءه :

ـ خذ اوامرك من قائد فيلقك .

وكانت تلك الأوامر يجرى اعدادها في ذلك الوقت ؛ وكانت تقضي بأن تساند فرقة المشاه الامريكية الرابعة ، الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية في زحفها على باريس .

عندما وصل لكلير الى مقر قيادة فرقته ، كان النهار قد قارب نهايته • قفز الجنرال من طائرته فى خفة طالب صغير ، وصاح فى مساعديه الذين كانوا فى استقباله فى صوت يرقص فرحا ، الجملة التى عاش السنوات الاربع الأخيرة وهو يتلهف على أن ينطقها :

ــ التحرك فورا نحو باريس !

***

بين جميع الوحدات العسكرية العاملة تحت قيادة ايزنهاور ،لم تكن هناك وحدة فى غرابة الفرقة المدرعة الفرنسية الثانية أو فى تعدد وتنوع العناصر البشرية التى تتألف منها •

كان من بين رجالها فرنسيون هجروا عائلاتهم دون أن يقولوا لها كلمة واحدة ليواجهوا أخطار الاعتقال والترحيل ، وليسيروا مئات الأميال الى جبال « البرنيه» المغطاة بالثلوج ، ثم ليقضوا بعد ذلك شهورا فى أحد معسكرات الاعتقال الاسبانية أحيانا •• وكل ذلك من أجل أن يخدموا فى صفوف تلك الفرقة ••

وكانت تضم رجالا قطعوا بحر « المانش » فى قوارب صغيرة مسروقة تسير بالمجاذيف أو فى قوارب صيد ، واسرى حرب سابقين وقعوا فى أسر الألمان عام ١٩٤٠ ثم تمكنوا من الهرب من معسكرات اعتقالهم وساروا شرقا عبر بولونيا الى روسيا لكى يساهموا من جديد فى حرب سبق لهم ان خسروها •

وكان فيها رجال لا تعرف عائلاتهم اذا كانوا أحياء أو موتى ، ورجال كانت عائلاتهم تتمنى أن يكونوا قد ماتوا بسبب تنكرهم لفرنسا أخرى هى فرنسا فيشى ••

وكان فيها فرنسيون لم يروا فى حياتهم أرض فرنسا ، وعرب لا يعرفون إلا كلمات فرنسية قليلة ، وافريقيون من ادغال الكاميرون

وطوارق من الصحراء الافريقية ، واسبانيون ممن كانوا قد حاربوا ضمن جيوش الحكومة القديمة في الحرب الاهلية الاسبانية ، ورجال من لبنان وشيلى والمكسيك حافظوا على ولائهم لفرنسا .. بل كان فيها فرنسيون سبق لهم أن حاربوا وقتلوا بعضهم بعضا فى سوريا وتونس باسم شارل ديجول وهنرى فيليب بيتان .

بالنسبة لهؤلاء الرجال ، كانت الحرب فى اوربا أشبه ما تكون بحملة صليبية .. وكانت « قدسهم » هى المدينة التى صاح قائدهم فى فرح انهم سيتحركون نحوها على الفور .

كثيرون منهم لم يكونوا قد رأوا باريس ابدا . وبالنسبة للبعض منهم الذين كانوا قد عرفوها ، كانت باريس ذكرى مريرة ، وشبحا لعاصمة لم تعد لهم . كانت باريس مدينة فكروا فيها وهم فى الصحراء الليبية وعند جبال الأطلس فى مراكش وفوق تلال بريطانيا الخضراء الرطبة ..

والآن اجتاحتهم أخبار ان باريس قد أصبحت هدفهم التالى ، بسرعة الصوت .. صوت السنتهم هم انفسهم ، وهى تعلن فى نشوة النبأ السحرى .

الكابتن ريمون درون تلقى النبأ فى هدوء . اصدر أمره الى سرية الدبابات التى يقودها بأن تستعد فورا ، ثم اخرج مرآة صغيرة مستديرة من سيارته ، وعلقها على شجرة تفاح ، وأخذ يشذب لحيته الحمراء الطويلة . لقد أراد ان يبدو حسن الشكل للباريسيات عند وصوله الى باريس ..

بعد ثمان وأربعين ساعة سوف يرى درون أولئك الباريسيات بعد أن يكون قد اتسخ واستبد به الاعياء وفاحت منه رائحة العرق والشحوم .. وسوف يبدو لكثيرات منهن اجمل رجل رأينه فى حياتهن !

سوف يكون هو أول جندى فرنسى يدخل باريس ٠

***

أخذ رجال الاعلام المرافقون لجيوش الحلفاء يستعدون بدورهم لدخول باريس ، فى لهفة لاتقل كثيرا عن لهفة الجنرال لكليورجال الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية التى يقودها ٠ وكان عشرات منهم قد بدأوا يسيرون فعلا على الطريق المؤدى الى العاصمة الفرنسية الذى سبقهم فيه ارنست هيمنجواى ٠٠

وبدا كأن شخصا واحدا فقط من بين الحشد الهائل من رجال الاعلام الذى تجمع فى نورماندى ، هو الذى لا يتجه الى باريس ،فهو قد أخذ الاتجاه المضاد ، وسافر الى انجلترا ، ولكن مع ذلك فان هذا الشخص ، وهو لارى لسوير مراسل اذاعة كولمبيا الامريكية ، كان لديه سبب خاص يجعله فى أشد اللهفة الى حضور عملية تحـرير باريس ٠٠

فقد كان آخر مراسل اذاعى أمريكى بعث باذاعاته من باريس قبل احتلالها ٠ وقد اقسم على أن يكون أول اذاعى أمريكى يذيع من العاصمة الفرنسية بعد تحريرها ٠

لكن مأساة كانت قد وقعت لهذا الرجل منذ ثلاثة ايام ٠٠ كان يقضم قطعة يابسة من الشوكولاته ، فكسرت له الشوكولاته جزءا من احدى اسنانه الأمامية ٠ هذا الحادث الذى كان يمكن ان يكون مجرد مصدر ضيق بسيط لغيره من رجال الاعلام ، كان بالنسبة له اصابة خطيرة منعته من مواصلة عمله ٠ فقد اصبح يصدر عنه صفير عندما يتكلم ٠

وهو عائد الى لندن ليستعين بطبيب اسنان ٠

لكنه يسافر الى لندن وهو مطمئن ٠ فقبل أن يقرر السفر كان قد سأل الجنرال كورتنى هودجز قائد الجيش الأمريكى الاول عما اذا كان هناك أى احتمال فى أن تتحرر باريس خلال الأيام القليلة

القادمة ؛ فأكد له الجنرال أن جيوش الحلفاء لن تدخل باريس قبل أسبوعين على الأقل ·

بينما كان لسوير فى طريقه الى لنـــدن ، كان منافسه الذى يخشاه أكثر من أى أحد آخر ، يسجل فعلا وصفا لتحرير باريس !

فقد وقع تشارلز كوننجوود المراسل الثانى لنفس اذاعة كولمبيا الملحق بجيوش الحلفاء ، عــلى خبر هــام بعد سفر لســـــوير مباشرة · التقى مصادفة بالجنــرال برادلى عقب عودة الجنـــرال الى مقر قيادته من اجتماعه مع أيزنهاور ، فقال له الجنرال :

ـ ان رجال المقاومة قد أشعلوا ثورة باريس ؛ ويبدو أن الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية سوف تتوجه لتحرير المدينة ··

فجلس كولنجوود الى جهاز التسجيل ، وأخذ يسجل أخبار تحرير باريس ·

كان يعرف المصاعب التى تضعها القيادة العلياللحلفاء أحيانا فى طريق الاتصالات الصــــحفية والاذاعية ، ولم يكن مســتعدا لوضع نفسه تحت رحمة هذه المصاعب · عندما يجىء أول نبأ عن تحرير العاصمة ، قد يكون بعيدا عن أى جهاز ارسال ·· وقـــد لا يستطيع الوصول اليه فى الوقت المناسب··ولكن هذا الوصف الدرامى المنفعل الـــذى يسجله الآن لتلك اللحظة سوف يكون موجودا فى لندن ، ليذاع عند حلولها على أمريكا بأسرها ·

استهل تسجيله بان قال فى صوت يرتعش حماسة وانفعالا·

« لقد دخلت الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية باريس اليوم ، بعد أن كان الباريسيون قد هبوا كرجل واحد للقضاء على القوات الالمانية المذعورة التى كانت تتألف منها حامية المدينة »

وبعد أن انتهى من التســـجيل ، وضع الشريط فى علبــة تمهيدا لارساله الى ادارة الرقابة فى القيادة العليا للحلفاء ، وفرك

كفيه رضى وسرورا ٠٠ ان احدا لن يسبق تشارلز كولنجـوود فى اذاعة خبر تحرير باريس !

***

فى مكتبه بفندق « ميريس » ٠٠ تململ الجنرال فون شولتتز فى قلق فى مقعـــده ٠ لقد أبلغه رئيس أركان حربه الأوبرشت فرايدريش فون أونجر ـ دون أن يبدو على وجهه أى تعبير كعادته ـ بأن اربعة من ضباط الصاعقة جاءوا لمقابلته ، وانهم ينتظرون فى الغرفة الملحقة بمكتبه ٠ لم يجد الجنرال تعليلا لهذه الزيارة غير أن تكون المهمة التى كلف بها نوردلنج قـــد انكشفت ، وأن يكون هؤلاء الضباط قد جاءوا للقبض عليه ٠٠

دخل عليه ضباط الصاعقة الأربعة فى خطـــوات عسكرية صاخبة ، وقرعوا كعابهم ببعضها فى صرامة مبالغ فيها ، وصـــاحوا معا : « هايل هتلر » ٠٠ ثم تقدم نحو مكتبة احدهم وهو رجـــل نحيل بخده جرح طويل ، ويحمل رتبة « مقدم » ٠٠ وقال له انه تلقى عن طريق جهاز اللاسلكى المثبت فى سيارته العسكرية ، وهو على مسافة أربعين ميلا من باريس ، أمرا شخصيا من هاينريش هملر ٠

عندما سمع فون شبولتتز اسم هملر ، قائد فرق الصـــاعقة ورئيس الجستابو ، أيقن أن ظنـــه كان فى محله ، وأنه سيلقى القبض عليه فورا ٠٠

ولكن ضابط الصاعقة مضى يقول ان هملر قد أمره بأن يتوجه الى باريس فى الحـــال ، لكى يستولى على تحفة فنية موجودة فى متحف (اللوفر) لم تكن موجودة فيه أصلا وانما نقـــلت اليه من متحف مدينة « بايو » فى نورماندى بعد ان نزل الحلفاء عـــلى الشواطىء الفرنسية ٠٠

وأضاف المقدم أن هذه التحفة يجب ألا تقع فى يد الحلفـــاء تحت أى ظرف من الظـروف ، وأن لديه أوامر رسمية بنقلها الى ألمانيا للمحافظة عليها ٠٠

وجد فون شولتتز صعوبة فى منع نفسه من الضحك وهو يسمع هذا الكلام ، بعد أن زالت مخاوفه وتبدد قلقه ·· وقال لضباط الصاعقة الأربعة ووجهه يطفح بشرا :

ـ آه يا أولادى ·· كم هو رائع منكم أن تساهموا فى انقاذ هذه التحف الغالية من الدمار !

ثم اقترح عليهم الا يكتفوا بنقل التحفة التى طلبوها ، وان ينتهزوا فرصة وجودهم فى باريس لبسط حمايتهم على عدد آخر من التحف الفنية الموجودة فى (اللوفر) ·

ولكن المقدم رد قائلا ان التعليمات التى لديه تقضى بنقل تحفة مدينة « بايو » وحدها الى المانيا ، وان هملر والفوهرر لا يريدان غيرها ··

قاد فون شولتتز زائريه الى الشرفة ، وأشار بيده الى مبنى (اللوفر) على يساره الذى بدا جليلا مهيبا فى ظلام المساء · فى تلك اللحظة نفسها مزق الليل سيل عنيف من الطلقات النارية ، بدا أنها تنطلق من المتحف نفسه ··

فقال فون شولتتز :

ـ يبدو أن « الارهابيين » قد احتلوا المتحف ··

فأيد رأيه ضباط الصاعقة الأربعة الذين ظهرت عليهم بعض أمارات القلق ··

غير أن فون شولتتز استطرد قائلا انه واثق من أن عصابة من الارهابيين الفرنسيين لا يمكن أن تشكل أى تهديد يذكر بالنسبة لأربعة من ضباط الصاعقة ·

التزم المقدم المجروح الخد الصمت برهة ·· ثم سأل فون شولتتز عما اذا كان يعتقد ان الفرنسيين قد نقلوا التحفة الى مكان آخر ··

فأجاب فون شولتتز بالنفي ، وأضاف متسائلا :
ـ لماذا يفعلون ذلك ؟!

تجدد اطلاق النـــار حول المتحف ، فكرر ضـــباط الصاعقة الاعراب عن شـــكهم فى أن تكون التحفـــة المطلوبة لا تزال فى (اللوفر) ٠

عندئذ استدعى فون شولتتز الذى أصبح يجد زيارة ضبـاط الصاعقة مسلية الى اقصى حد ٠٠ استدعى ضابطا مسنا ملحقا بقيادته، وتحمل وظيفته اسما هو أبعد مايكون عن طبيعتها الحقيقية ٠ فقد كان ذلك الضابط مكلفا « بحماية الآثار والأعمـال الفنيـــة الفرنسية »

سأله فون شولتتز عن التحفـة التى يبحث عنـــها ضباط الصاعقة ، فأكد أنها موجودة فى « اللوفر » ٠

عرض فون شولتتز على ضباط الصاعقة ان ييسر لهـــم اداء مهمتهم عن طريق وضع سيارة مدرعة تحت تصرفهم ، وتكليف مجموعة من الجنـــود بتغطية مبنى المتحف من الشارع ريثمـا يدخلونه ويخرجون التحفة المطلوبة منه ٠

فرد المقدم الذى بدت عليه الحيرة بأنه سوف يتصل ببرلين أولا باللاسلكى طالبا التعليمات ، ويعود بعد ساعة ٠

ثم أدى هو وزملاؤه التحية النازية مرة ثانية ، وخرجوا ٠

لم تقع عينا فون شولتتز على أى منهم بعد ذلك ٠

أما التحفة الثمينة التى كانوا قد أمروا بانقاذها من الحلفاء ، فقد بقيت فى « اللوفر » ٠ وهى تحفة تصور حدثا فريدا فى التاريخ ٠ فهى سجادة مساحتها ٨٤ ياردة مربعة نسجت عليهـا سيدات بلاط الملك وليام الفاتح منذ تسعة قرون مضت ، منظرا وعد به مصورو دولـة هتلر كثيـرا ؛ ولكنه لم يتح لأجهـزة تصويرهم أن تسجله قط ٠ كان ذلك المنظر لعملية غزو انجلترا ٠

***



كانت الساعة تقترب من منتصف الليل عندما أتم الجنرال جاك فيليب لكلير املاء الاوامر الخاصة بتحرك فرقته · وكانت تلك الأوامر تقضى بان تبدأ الفرقة زحفها نحو باريس فى السادسة والنصف صباحا ·

وقد سجل لكلير فى تلك الأوامر قوله :

« وانى اطلب لهذا التحرك الذى سوف يقود الفرقة الى عاصمة فرنسا جهدا غير عادى ، وأنا واثق من أنى سوف أحصل عليه منكم جميعا »

قبل ان يوقع لكلير تلك الأوامر ويضع عليها التاريخ ، نظر الى ساعته ·· فوجدها تشير الى منتصف الليل ·

***

على بعد ألف ومائة ميل من مقر قيادة الجنرال لكلير ، بدأ عند منتصف ليلة الثانى والعشرين من أغسطس الاجتماع الليلى لهتلر بهيئة أركان حربه فى مقر قيادته بغابة راستنبورج فى بروسيا الشرقية ·

حول مائدة اجتماعات الفوهرر ، كان الجنرال فلد مارشال كايتل ، والجنرالات فارليمونت وبورجدورف وفيجلين ، وياور هتلر الخاص نقيب الصاعقة جونشه ، يستمعون فى صمت واجم بينما أخذ الجنرال ـ أوبرشت يودل يتلو التقرير الخاص بالموقف فى الجبهة الغربية ·

مرة أخرى ، كان هتلر قد أمر بأن يسبق ذلك التقرير ، انباء الجبهة الشرقية ..

وكان هتلر يجلس واضعا يده اليمنى على خريطة أمامه على المائدة وقد سجل الجنرال فارليمونت فى مذكراته أنه لاحظ أن يد هتلر تلك ، كانت ترتعش قليلا بينما كان يستمع الى كلمات يودل في تلك الليلة ..

عندما فرغ الجنرال ـ أوبرسُت يودل من قراءة التقرير ، رفع هتلر رأسه وسأل فى صوت غاضب :

ـ أين المدفع كارل ؟..

فرد عليه الجنرال فارليمونت قائلا ، ان ذلك المدفع الذى كان هتلر قد أمر بارساله الى باريس قد وصل الان مع ذخيرته فى قطار خاص الى مدينة « سواسون » على بعد أقل من ستين ميلا من باريس .

وأضاف أن المدفع سوف يكون فى العاصمة الفرنسية بعد أربع وعشرين ساعة .

بدت علامات الرضاء على هتلر عندما علم ان ذلك المدفع الرهيب سوف يكون قريبا فى باريس بكل طاقاته التدميرية الهائلة ..

ثم التفت الى يودل ، وقال له :

ـ يودل .. أكتب ..

وأخذ يملى عليه فى سرعة هائلة مايلى :

« ان الدفاع عن رأس الجسر الذى تتألف منه باريس أمر ذو أهمية قصوى فى الخطط العسكرية والسياسية . ان ضياع المدينة سوف يقود الى انهيار الجبهة الساحلية شمالى نهر السين بأكملها

وسوف يحرمنا من قواعد اطلاق صواريخنا اللازمة للحرب البعيدة المدى ضد بريطانيا • عبر التاريخ كله ، كانت خسارة باريس تؤدى دائما وحتما الى خسارة فرنسا بأكملها »

كانت رسالة هتلر موجهة الى القائد العام للجبهة الغربية ، وقد ضمنها هتلـــر فقرة يذكره فيها بأنـــه خصص فرقتين مدرعتين اضافيتين للدفاع عن باريس ••

كما اصدر أمره بالقضاء على الثورة المسلحة فى باريس بجميـــع وسائل القمع العنيفة الممكنة بما فى ذلك تدمير احياء بأكملها من المدينة ــ وهى عملية يسهل تنفيذها وصول المدفع كارل ــ وتنفيذ أحكام الاعدام علنا فى زعماء الثورة •

وختم هتلر رسالته بقوله :

« يجب الا تسقط باريس فى يد العدو •• واذا سقطت ، فيجب الا يجد فيها غير أكوام من الحطام »

وصلت الى مدينة « ميتز » طلائع فرقة الصـــاعقة المدرعـــة السادسة والعشرين ، التى كانت احدى الفرقتين المدرعتين اللتين أمر هتلر بنقلهما من الدنمرك الى باريس •• ولم يكن ديتريش فون شولتتز قد ابلغ بأن هاتين الفرقتين فى طريقهما اليه •

لم يبق بين هذه الطلائع وبين باريس غير ١٨٨ ميلا •• وكان وصولها الى باريس يعنى أن فون شولتتز سوف يصبح مضطرا لأن يحارب دفاعا عن منطقة قيادته •

***



اشتد القتال في باريس يوم الاربعاء الثالث والعشرين من اغسطس .. قام الالمان بنسف أكبر دور العرض فيها وهو مبنى « جران باليه » البالغ الضخامة الذى اعتصم الثوار فى جزء منه . دفع الألمان نحوه دبابة صغيرة مملوءة بالمتفجرات توجه بواسطة الراديو ، دمرت قسما كبيرا منه ، ثم أمطرته الدبابات العادية التى كانت تحاصره بوابل من القذائف المحرقة بعد ذلك . سود الدخان المتصاعد من المبنى المحترق سماء باريس بأسرها .

تلك المدينة التى لم تكن قد شهدت غارة جوية واحدة ولا نتائج عمل عشر دبابات ، روعتها السهولة التى دمرت بها دبابة صغيرة موجهة واحدة وبضع قنابل محرقة ذلك المبنى الهائل . أصبح المبنى الذى ظلت النيران تندلع منه مدة طويلة ، شاهدا يذكر الباريسيين بصفة دائمة بالاشاعة المخيفة التى كانت قد بدأت تجتاح مدينتهم .

« ان الجيش الالمانى يستعد لتدمير باريس »

بعد مرور أربعة أيام ونصف يوم على بدء الثورة ، بدأت الروح المعنوية لرجال حركة المقاومة تضعف لأول مرة . الذخائر كانت تتناقص بشكل مخيف . الضحايا عددهم يرتفع بسرعة مذهلة . الألمان بدأوا يضربون بعنف أكبر وبرغبة واضحة فى الانتقام ..

عندما حل مساء يوم الاربعاء ذاك ، كان عدد القتلى من الباريسيين قد بلغ خمسمائة وعدد الجرحى ألفين . ولم تلح من

أية ناحية أية بادرة للمساعدة التى كان الكثيرون يتوقعون وصولها بعد ساعات فقط من بدء الثورة ٠

ازدادت حدة القتال فى جميع انحاء المدينة ، وأقـــدم الطرفان على ارتكاب فظائع شنيعة ٠

انهالت طلبات الاسلحة والذخائر على الكولونيـــل رول دون أن يستطيع تلبية أى منها ٠ أخذ يلعن خصومه الديجوليين لاعتقاده أنهم لم يبلغـــوا لندن بطلبه العـــاجل للاسلحة ٠ ولكن لم تكن مناورات الديجوليين هى التى خيبت آمال رول هذا الصباح ٠

كان الجنرال بيير كونيج قائد حركة المقاومة داخـــل فرنسا الذى يتخذ من لندن مقرا له ، قد أصدر أمره بتنفيذ عملية اسقاط الاسلحة بالمظلات على باريس التى كان قد ألغاها فى اليوم السابق فى آخر لحظة ٠٠ وكانت تقف فى احد المطارات البريطانية مائة وثلاثون طائرة تطفح بالاسلحة والذخائر التى يحتاج اليهـــا رول ، وهى على استعداد للاقلاع نحو باريس ٠

ولكن شيئا واحدا كان يمنعها من الطيران ٠٠ انه عدو أقوى من أى خصم سياسى : انه الضباب ؛ الضباب الانجليزى الكثيف الذى لا يمكن اختراقه ٠ ومنذ الفجر كان هذا الضباب يسمر الطائرات على أرض مطار هارنجتون ٠

بعـــد أن أبلغ مقر قيادة الجنرال كونيج فى لندن بأن الفرقة المدرعة الثانية قد صدرت اليها الأوامر بالزحـــف الى باريس ، لم يعد هناك مبرر لاســقاط الاسلحة على العاصمة ٠٠ فأمر الجنرال كونيج بالغاء العملية نهائيا ٠٠

ومع ذلك فان طائرات ذلك السرب المختص باســقاط الاسلحة لحركات المقاومة فى أوربا المحتلة ، سوف تطير الى باريس بعد ثلاثة أيام فى مهمة غير عادية ٠ ولـــكن بدلا من أن تحمل اليها القنابل اليدوية والمدافع الرشاشـــة التى كان رول يلح فى طلبها ، فانها سوف تنقل اليها اكياسا من الفحم والمواد التموينية ٠

***



منذ الفجر ، ومثل ثعبانين عملاقين طول كل منهما ثلاثة عشر ميلا ، أخذت قوات الفرقة الفرنسية المدرعة الثانية تتلوى فى طابورين بين مزارع نورماندى ، مندفعة تحت عاصفة ممطرة عنيفة نحو باريس ..

وكانت مركبات الفرقة الاربعة آلاف التى تحمل رجالها الستةعشر الفا تهز مساكن الفلاحين التى تمر بها ، بينما أخذ الفلاحون يلوحون فى حماسة جنونية لرؤية الدبابات والعربات المصفحة والعربات نصف الجنزير وسيارات النقل التى تحمل الاعلام الفرنسية المثلثة الألوان .. وصليب لورين شعار فرنسا الحرة .

وكانت السيارات المصفحة التى تحمل السياهيين المغاربة تتقدم الطابورين ، والسيارات التى تحمل الذخائر والمواد التموينية تشكل مؤخرتيهما .. وكان تيار حاد من الترقب السعيد يشمل الفرقة بأكملها ، فأخيرا هاهى تتقدم نحو باريس بعد سنوات من الانتظار .

بالنسبة لكثيرين من رجال هذه الفرقة المندفعين فى نشاط محموم ، كان هذا الزحف السريع مشحونا بالذكريات .. أو بالأمل فى أن يؤدى قريبا الى رؤية وجه محبوب ..

الملازم هنرى كارشيه علق صورة على الزجاج الأمامى للعربة نصف الجنزير التى يركبها . كانت صورة ابنه الذى يبلغ الرابعة

من عمره ، والذى لم يره قط • كان كارشيه يريد أن يتأكد من أنه سوف يتعرف عليه عندما يراه لأول مرة •

النقيب آلان دى بواسيو ـ قائد جماعة حراسة لكلير ـ خفق قلبه عندما اقترب الموكب من مدينة شارتر • فبيته هنا فى هذه المدينة • خلف الكاتدرائية وعلى ضفة نهر « أور » يقيم والداه فى المنزل الذى لم يره منذ خمسة أعوام •

خرج الان من الطابور الذى كان يسير فيه واسرع بسيارته الجيب الى أن سبق الطابور ثم استدار ودخل المدينة • ترك الكاتدرائية وراءه وسار بأقصى سرعة نحو النهر •

لم يجد الكوبرى الذى كان سيعبره الى بيت والديه كما كان ، كل ماتبقى من البيت جدار واحد محترق ••

قال له الجيران الذين اندفع نحوهم فى حزن عميق : ان الالمان قد أخلوا جميع منازل المنطقة بما فيها منزل اهله ونسفوا معظم البيوت • أما الكوبرى الذى يقع أمام منزله فقد وضع الالمان تحته شحنة اضافية من المتفجرات لكى تفهم امه معنى أن يكون لها ولد يتبع ديجول •

***

لمدة اثنتى عشرة ساعة ، ظل الرجل الذى يحمل الرسالة الملهوفة التى قد تنقذ باريس من مصير وارسو وستالينجراد ، يمر بدورة الاستجوابات والتحقيقات التى كان روجيه جالوا قد مر بها قبل ذلك بأربع وعشرين ساعة • والآن وعلى نفس أرض المطار الصغير التى أصدر عليها الجنرال عمر برادلى أمره الى الجنرال لكلير فى المساء السابق بالزحف الى باريس ؛ ابلغ رولف نوردلنج رسالته الى الجنرال الامريكى •

استمع برادلى فى صمت الى حديث السويدى • قال له نوردلنج ان قائد حامية باريس الالمانى لديه أوامر رسمية بتدمير اكبر قدر ممكن من المدينـــة • وهو لم يشرع بعد فى تنفيذ هذه الاوامر : ولكنه أصبح فى موقف حرج •• واذا استمر الوضع على ماهو عليه فسوف يضطر الى تنفيذها • وهو يشعر أنه أصبح مهددا بأن يعفى من قيادته •

واستطرد نوردلنج قائلا ان ما يبدو أن الجنرال الالمانى يريده هو وصول الحلفاء الى باريس قبل أن تصل اليه تعزيزات أو قبل أن يضطر الى البدء فى تنفيذ الأوامر الصادرة اليه •

كان رد فعل برادلى فوريا • ان العملية التى أصدر الامـــر بتنفيذها فى الليلة الماضية قـد أصبح لها فجأة طابع الاستعجال الملح • وكان برادلى يعـرف مثل أيزنهاور ، ومن خلال المعلومات التى جمعتها مخابرات الحلفاء ان الفـــرقتين المدرعتين الالمانيتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين وكذلك أجزاء من عـدد من الفرق الالمانية الأخرى بدأت تدخل فرنسا • وبعض هذه القوات قد تكون متجهـة الى باريس •• ولو لم تسبقها قوات الحلفاء الى المدينة ، فمن المحتمل أن تتحول باريس الى ميدان قتال رهيب •

وكان برادلى قلقا فى الدرجة الأولى من ناحية فون شولتتز •• قال لنفسه :

((اننا لانستطيع ان نتعرض لاحتمال أن يغير هـذا الجنـرال الألمانى رأيه))

قال لقائـــد المخابرات الجنرال ســـيبرت الذى كان يقف بجـانبه :

((ابلغ الجنرال هودجز بأن يحث الفرقة الفرنسية على الاسراع وبان يعد الفرقة الرابعة للتحرك الى هناك ايضا))

***



بدون كلام ، ناول فون شولتتز ورقة البرقية الزرقاء الى العقيد النحيل القصير الواقف بجواره · انه يعرف العقيد هانز جاى منذ عشرين عاما ، منذ أن خدما معا كضابطين صغيرين فى كتيبة واحدة ·· وقبل عامين احتفل مع جاى فى فندق ادلون ببرلين بترقيته الى اولى مراتب الجنرالية ·

بينما أخذ جاى يقرأ البرقية ، راح شولتتز يحدق فى حدائق التويلرى الممتدة تحت نافذته ، لا يوجد اطفال يلعبون فى هـذه الحدائق هذا الصباح ·· ولا يملأ ممرات الحديقة التى يبلغ عمرها مائتين وخمسين عاما غير جنوده ·

طوى جاى البرقية واعادها الى شولتتز · حاول شولتتز عبثا أن يقرأ فى وجهه علامة تنم عن أية عاطفة · لقد كان يطمع فى أن يحصل من صديقه القديم على كلمة مواساة أو حركة تعبر عن المشاركة الوجدانية وتشعره بأنه ليس وحيدا ·· ولكن جاى لم يقل غير كلمات : « هذا شيء مؤسف » ·· وهى نفس الكلمات المعبرة عن القبول المستسلم التى لم يسمع غيرها من الرجل الوحيد الذى أطلعه على البرقية قبل ذلك ، وهو رئيس اركان حربه المتحفظ المنطوى على نفسه العقيد فرايدريش فون اونجر ·

كانت تلك البرقية تحمل أقسى أمر تلقاه فون شولتتز فى حياته، وهو الأمر الوحشى الذى املاه هتلر فى الليلة السابقة ووجهه الى القائد العام لجيوشه فى الجبهة الغريبة ·

كان ذلك الأمر يقضى بأن يخول فون شولتتز هذه المدينة الممتدة أمام عينيه الى « اكوام من الحطام » !

تحول فون شولتتز عن النافذة واتجه فى تصميم الى التليفون . رفع السماعة فى غضب وطلب ان يتحدث الى مقر القيادة الالمانية العليا للجبهة الغربية . رد عليه الجنرال هانز شبيدل رئيس اركان حرب تلك القيادة ، الذى امتقع لونه عند سماع شولتتز يقول له فى مرارة وقسوة :

ـ سوف يسعدك ان تعلم ان « الجران باليه » تحـترق الآن ..

ثم « شكره » شولتتز على الأوامر « اللطيفة » التى ارسلها اليه فسأله شبيدل :

ـ أية أوامر ؟

فقال شولتتز :

ـ الأوامر الخاصة بتحويل باريس الى اكوام من الحطام .

قال شبيدل انه لم يفعل اكثر من انحول اليه تلك الأوامر القادمة من الفوهرر ..

ولكن شولتتز تجاهل رده واستمر فى حديثة قائلا انه قد وضع طنا من المتفجرات تحت مبنى مجلس النواب ، وطنين فى بدروم قصر الانفاليد ، وثلاثة اطنان تحت كاتدرائيـــة نوتردام .. ثم استطرد قائلا :

ـ اظن ياعزيزى شبيدل انك توافق على هذه الاجراءات !؟

ساد صمت محرج لبضع لحظات رفع شبيدل عينيه خلالهـا الى صور نوتردام والتويلرى وفرساى المعلقة فى مكتبه .. ثم قال فى صوت خافت :

ـ طبعا طبعا ياسيدى الجنرال .. أوافق .

واصل شولتتز حديثه قائلا انه قد استعد لنسف كنيسة المادلين دار الأوبرا فى ضربة واحدة ، وانه ينوى تدمير قوس النصرليفتح اريقا أمام الطلقات الى شارع الشانزليزيه .. وكذلك برج ايفل كى يسد حطامه الطريق الى الكبارى التى سوف تكون قد نسفت قبل ذلك ! .

تساءل شبيدل فى نفسه ما اذا كان فون شولتتز قد فقد عقله ، أو انه يحاول أن يتظرف . لكن الافتراضين كانا خطأ . .

فى نوبة الغضب الجامح التى اجتاحته لتلقى الأوامر التى حولتها قيادة الجبهة اليه ، كان فون شولتتز يحاول فقط ـ على حد التعبير الذى استعمله فيما بعد فى شرح هذه الواقعة للمؤلفين ـ **((ان يجعل شبيدل يدرك الموقف الرهيب للجندى الذى يتلقى مثل هذه الأوامر ، ويتعين عليه ان ينفذها)) .**

***

على الضفة الأخرى من نهر السين ، نسف الالمان مبنى سنترال تليفونات سانت أرمان . حدث ذلك فى الساعة ١١ر٥٥ . ذلك المبنى الضخم الذى كانت جميع الجيوش الالمانية من النرويج حتى حتى اسبانيا تتلقى أوامرها عن طريقه فى الماضى غير البعيد ،تحول فى ثوان الى انقاض وسحب من الغبار .

بنسفه بدأ تنفيذ جزء صغير جدا من برنامج التدمير المعد لمنطقة باريس الذى أمر به أودلف هتلر .

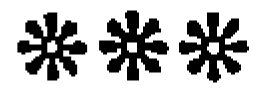
فى اقبية قصر الانفاليد كانت مجموعة أخرى من الجنود الالمان توصل جهاز تفجير بالطنين من المتفجرات التى كانت قد وضعت من قبل تحت القصر . بالاضافة الى ذلك وزع الجنود عشرات من اسطوانات الاكسجين المضغوط على درجة ١٨٠ فى مختلف انحاء المبنى . عند نسف القصر سوف يكون لهذه الاسطوانات تأثير عشرات من القنابل المحرقة ، وسوف تشعل النيران فى مساحة الثلاثين فدانا التى يشغلها قصر الانفاليد بأكملها .

والاستعدادات النهائية للنسف ذاتها كانت تجرى فى الوقت نفسه فى كل مكان آخر فى باريس ..

فى قصر لوكسمبورج الذى بنى سنة ١٦٣٧ من أجل مارى دى مديتشى ، وفى قصر جابرييل فى ميدان الكونكورد .. وفى مبنى مجلس النواب ومبنى وزارة الخارجية .. وفى محطات السكة الحديد ومحطات القوى الكهربائية وسنترالات التليفونات .. وتحت برج ايفل ، وتحت الكبارى الخمسة والأربعين التى تغطى نهر السين فى باريس .. وفى مئات غيرها من المبانى والمنشئات التى شملتها خطة التدمير المنظم الشامل .

كل ما تبقى الآن لتحويل باريس الى أنقاض وفقا لأوامر هتلر ، كان بضع ساعات أخرى من العمل الختامى ، وأمرا من الجنرال البروسى المتردد القابع فى فندق « ميريس » .

هناك كان فون شولتتز ينتظر والحيرة تعذبه ، ويتساءل ترى الى متى يستطيع ان يستمر فى تأجيل صدور آمره بتنفيذ الاجراءات التى ستحول اجمل مدن الدنيا والمجموعة الضخمة من الآثاروالتحف الرائعة التى تحتوى عليها ، الى غبار وانقاض وحطام .





بينما أخذ طبيب الاسنان فى لندن يثبت فوق سنه الغطاء الذى صنعه له ، جلس لارى لسوير يستمع الى الراديو وهو يذيع بعض الالحان الراقصة ، ويقول لنفسه ان الحظ قد ساعده ٠٠ فلو ان هذا الحادث وقع له بعد اسبوع من اليوم الذى وقع فيه ، لكانت فاتته الفرصة التى يهمه اكثر من أى شىء آخر الا تفوته ٠٠وهى فرصة حضور تحرير باريس ٠

توقف الراديو فجأة ٠ وبالأسلوب التقليدى الذى يعرفه لسوير جيدا ، طلب من المستمعين أن ينتظروا اذاعة أنباء هامة ٠

ثم بعد ذلك بلحظات أعلن مذيع آخر فى انفعال غير معهـــود فى مذيعى محطة الاذاعة البريطانية :

((لقد تحررت باريس ٠٠ انى اكرر ٠٠ لقد تحررت باريس)) !

عند سماع ذلك شعر لسوير بالدوار والغثيـان ؛ وافرغ مافى جوفه ٠

فى الطرف الآخر من لندن ، وفى مكاتب محطة اذاعة كولمبيـا الأمريكية ٠٠كان زميل لسوير فى لندن ريتشارد هوتلت ، يشعر بانه من اسعد الناس فى العاصمة البريطانية ٠ فبين يديه علبـة مستديرة تحتوى على وثيقة ذات قيمة غير عادية ٠ تلك الوثيقة هى الشريط ((المحفوظ)) الذى سجله فى المساء السابق منافس لسوير

المباشر وزميله تشارلز كولنجوود ، والذى ضمنه وصفـــه لتحرير باريس ٠

كان الرقباء التابعون للقيادة العليا للحلفاء فى أوربا قد عجزوا عن ادارة الشريط والاستماع اليه فى الميدان ، فحولوه الى لندن مفترضين انه سوف يراقب هناك ٠ غير ان رقابة لندن افترضت بدورها أن الشريط لابد ان يكون قد مر برقابة الميدان ، فحـولته بدورها الى مكاتب محطة اذاعة كولمبيا من غير ان تستمع اليه ٠

بمجرد أن سمع هوتلت النبأ القصير الأول الذى اذاعتـــه محطة الاذاعة البريطانية عن تحرير باريس ٠٠ اذاع الشريط الذى وصمه على العالم بأسره ٠

وبذلك حصل كولنجوود على سبقه الاذاعى المنشود !

بعد دقائق ، كان وصفه الدراماتيكى لتحرير باريس يتردد فى ملايين البيوت ٠٠

أصدرت صحيفتان من صحف نيويورك طبعة خاصة تتضمن النص الكامل لهذا الوصف تحت عناوين ضخمة ٠

فى مكسيكو سيتى عاصمة المكسيك كتبت جريدة «اكسلسيور» كلمات « لقد تحررت باريس » بالأنوار التى تضىء وتنطفىء فوق دارها ، واصدرت جميع صحف المدينة طبعات خاصة تحمل النبأ٠٠

فى بوينس ايرس عاصمة الارجنتين التى يحكمها بيرون تجرأت الجماهير لأول مرة منذ عام ١٩٣٩ على ان تهتف « الديمقراطية نعم ــ المحور لا » ٠٠

رفعت كويبك بكندا الأعلام الفرنسية المثلثة الألوان ، وطلب عمدتها لوسيان بورن من أهلها ان يتجاهلوا نظام الاطفاء وان يضيئوا منازلهم بالليل ٠٠

في واشنطون وصف الرئيس الامريكى فرانكلين روزفلت النبأ بانه ((**قفزة مضيئة من النصر الكامل**)) ..

في نيويورك غنت الفنانة ليلى بونز نشيد « المارسيليز » وهى فى ثياب المجندات لعشرين ألفا من الامريكيين الذين غمرتهم الحماسة فى مركز روكفلر ، بينما أحاط بها اثنان وثلاثون من البحـــارة الفرنسيين كانوا يرفعون علم بلادهم ..

لندن خرجت عن وعيها .. اخذ الناس يتبادلون القبلات ويرقصون فى شوارعها وميادينها . فبالنسبة للندن التى ارهقتها الحرب ، كان نبأ تحرير باريس بشرى سعيدة باقتراب يوم النصر النهائى .

انتونى ايدن وزير الخارجية قطع احتفالا كان يجرى بمناسبة توقيع اتفاقية الشئون المدنية الانجلو - فرنسية ، ليقترح شرب نخب ابتهاج فى صحة زميله الفرنسى رينيه ماسيليى ..

ملك بريطانيا نفسه ، أرسل برقية تهنئة حارة الى الجنرال ديجول

وفى غمرة الابتهاج الشامل الذى انتشر فى اعقاب اذاعة النبـا القصير من محطة الاذاعة البريطانية ، لم يلتفت احد الى التكذيب المحرج الذى اذاعته له القيادة العليا للحلفاء فى أوربا ..

طوال النهار والليل ظل يتردد فى كل مكان النبأ الذى اعلنته محطة الاذاعة البريطانية ، والوصف الذى سجله لاذاعة كولمبيـا تشارلز كولنجوود .

وكان الأمر كله غلطة فظيعه .

فى باريس التى كانت تئن تحت وطأة عدم تحررها ، وحيث كان جنود الجنرال فون شولتتز يتزايد تهديدهم من ساعة الى ساعة

ويجعلون وجودهم فى المدينة محسوسا بشكل مخيف .. قوبل النبأ بالغضب والذهول ..

الذين استمعوا الى اذاعة لندن وغيرها من الاذاعات تعلن النبأ ، كانوا يسمعون فى الوقت نفسه طلقات رصاص الألمان تملا شوارعهم.

***

للمرة الاولى منذ ثلاثة أيام ، نظر الكولونيل اندريه فيرنون بما يشبه الرضاء الى الشطائر الجافة الموضوعة فوق مكتبه بمقر قيادة حركة المقاومة الفرنسية فى لندن ، ومد يده اليها . كان هذا الرجل هو مؤلف الكذبة الضخمة التى ملأت بالنشوة ملايين لا حصر لها من الناس فى جميع انحاء العالم .

فى نفس هذا المكتب كان فيرنون قد فك منذ ست ساعات شفرة النداء الملهوف الاخير القادم من قيادة الديجوليين فى باريس ،الذى طالب فى الحاح بزحف قوات الحلفاء على المدينة قبل ان تحل بها المجزرة المتوقعة . ولم يكن فيرنون يعرف ان الفرقة الفرنسيةالمدرعة الثانية قد تلقت فى الليلة الماضية الامر بالاسراع الى نجدة المدينة ، فأخذ يفكر فى وسيلة لمساعدة المدينة ولاجبار قيادة الحلفاء على أرسال قواتها اليها ..

وفجأة تناول ورقة وكتب عليها خبرا مزيفا تماما يعلن ان باريس « قد حررت نفسها » . وامر مساعديه بابلاغ هذا الخبر الى محطة الاذاعة البريطانية ، من غير أن يعرضوه على رقابة قيادة الحلفاء .

وقد قدر انه فى حالة ان تعلن الاذاعة البريطانية ان باريس قد تحررت ، فانه لن يعود لقيادة الحلفاء عذر فى عدم تحريك قواتها الى العاصمة الفرنسية ..

وقبل الساعة الثانية عشرة ظهرا مباشرة ، أى قبل دقائق قليلة من موعد اذاعة النشرة الاخبارية الفرنسية التى تقدمها الاذاعة البريطانية يوميا ، ابلغ احد ضباط مكتب استعلامات فرنسا الحرة

بالتليفون النبأ الذى الفه فيرنون للاذاعة البريطانية ، وطمـأن الضابط المذيع الذى تلقى منه النبأ الى ان النبأ قد عرض شفويا على رقيب قيادة الحلفاء . وبما ان ذلك كان يحدث فى احيان كثيرة ولا سيما بالنسبة للانباء العاجلة ، فان المذيع لم يشك فى صحـة ماقاله له الضابط الفرنسى ..

وبعد ثوان كان يطلق النبأ الكاذب فى فرح وانفعال فى رحلته حول العالم .

***



وصل شارل ديجول الى بلدة رامبوييه فجأة ، وهى البلدة التى تقع على بعد ثلاثين ميلا من باريس .. وكانت البلدة قد امتـلات بالدبابات وسيارات الجيب وسيارات النقل وبالجنود الفرنسيين والجنود الامريكيين ورجال حركة المقاومة الفرنسية ، وبالصحفيين وبالفرنسيين العاديين . جاءها ديجول فى اعقاب الفرقة المدرعـة الفرنسية الثانية المكلفة بتحرير عاصمة بلاده ..

هنا على عتبة باب باريس ، وقف ذلك الرجل المنطوى على نفسه الوقفة قبل الاخيرة فى طريق العودة الى الوطن الطويل ، الذى بدأ يقطعه منذ اغترابه فى سنة ١٩٤٠ .

توجه ديجول مع مرافقيه الثلاثة الى قصر رامبوييه مباشرة ، الذى كانت أبوابه واغطية موائده واسرته وحتى فضياته لا تزال تحمـل ختم « الدولة الفرنسية » .. شعار آخر الحكام الذين شغلوه من رجال دولة فيشى ..

بعد برهة نزل ديجول ومرافقوه الى صالة الاحتفـالات الفخمـة بالقصر . فى تلك القاعة المظلمة المهيبة التى تنازل فيها الملك شارل العاشر عن عرشه ، والتى أقام فيها ملوك فرنسا ورؤساؤها ابتداء من لويس السادس عشر الى نابليون وبوانكاريه الحفلات الباذخة جلس شارل ديجول ومرافقوه الثلاثة يتناولون عشاءهم المكـون من علب الاطعمة المحفوظة التى توزع على الجنود والتى فتحوها بأنفسهم .

بمجرد أن فرغ ديجول من طعامه ، أرسل فى استدعاء الجنرال لكلير . كان يتحرق لهفة على الوصول الى باريس ، وقد اصبح الآن لكل ساعة اهميتها فى نظره .

كان لكلير قد توصل الى اتخاذ قرار هام بعد ان درس المعلومات التى زودته بها فرقة ارنست هيمنجواى الخاصة ، والتى نقلهـــا اليه عشرات من رجال المقاومة الذين تسللوا الى خطوطه .

كانت الأوامر التى تلقاها من رؤسائه الامريكيين تقضى بان يندفع رأسا الى باريس من أقصر طريق ، عبر رامبوييه وفرساى . لكن المعلومات التى وصلته اظهرت ان الالمان خلال الاربع والعشرين ساعة الاخيرة قد ادخلوا ستين دبابة جديدة الى تلك المنطقة وزرعوهـــا بالالغام ..

لذلك قرر لكلير من تلقاء نفسه ان ينحدر شرقا مسافة ١٧ ميلا الى ارباجون ولونجومو ، وان يدخل العاصمة من الجنوب الشرقى عن طريق باب أورليان .

وقد اغفل مناقشة هذا التعديل الذى ادخله على خطته مع رؤسائه فى قيادة الفيلق الخامس ، وهو أمر سوف يثير بعد ساعات قليلة رد فعل غاضبا ومريرا .

والأرجح ان يكون لكلير قد تعمد تنفيذ ما انتواه من تغيير حدود فرقته وخط هجومها دون ان يخطر بذلك قيادة الفيلق الذى تتبعه الفرقة ودون ان يحصل على موافقة قيادة الفيلق ، بقصد ان يظهر للعالم ان تحرير باريس كان عملية فرنسية محضة ، وانه كان يكفى لتنفيذها أن يوافق عليها ديجول وحده .

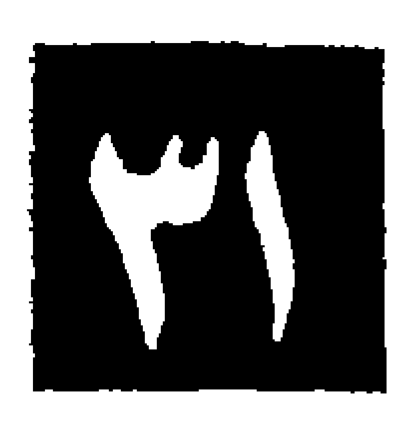
عرض لكلير فى قصر رامبوييه على ديجول الخطة الجديدة التى اعدها للهجوم على باريس . وكان الرجلان يعلمان كلاهما انالسرعة ضرورية . فالقوة الالمانية المواجهة لهما تتزايد سريعا .. ولو أوقف

زحف لكلير على الطريق الى باريس ، فمعنى ذلك ان تتاح للالمـــان فرصة البطش بالثورة فى داخلها وكذلك فرصة جلب تعزيزات جديدة ٠

بعد أن تأمل ديجول الخطة الجديدة طويلا ، منحها بركته ، ثم نظر الى لكلير الذى كان يحمل له مودة خاصة ويعده بمثابة ابن له وقال :

ـ أسرع ٠٠ نحن لانريد أن نجد « كميون » شيوعيا فى باريس عندما ندخلها ٠

***



رجال الفرقة الفرنسية المدرعة الذين أنهك قواهم اندفاعهم الطويل السريع الى رامبوييه ؛ والتهبت عيونهم من جراء قضاء اربع عشرة ساعة فى العراء ، وابتلت أجسامهم من المطر الذى غمرهم طوال مدة سيرهم .. توزعوا فى الاحراش والقرى المحيطة برامبوييه وحاولوا أن يفوزوا بأى قسط من النوم يستطيعون أن يحصلوا عليه .. بينما دارت سيارات التموين توزع صفائح الوقود على الدبابات والسيارات المدرعة ، التى تم تشكيلها الآن فى ثلاث مجموعات انقضاض ؛ تمهيدا لهجوم الفجر .

بعض الرجال كانوا يضعون الخطط ؛ وبعضهم يحلمون ؛ وبعضهم يستعيدون ذكريات المرة الاخيرة التى رأوا فيها باريس، وبعضهم يصلون ، وبعضهم أغرقهم الارهاق فى نوم عميق .

الرائد هنرى ميرامبو جلس فى خيمته يضع على ضوء مصباح غاز خطة عمل المدفعية ، بالاشتراك مع المقدم الامريكى الذى سوف تسانده مدافعه فى اليوم التالى ..

الملازم هنرى كارشيه الذى احمرت عيناه من تعرضهما المستمر خلال ساعات طويلة للدخان الخارج من أنبوبة عادم المركبة التى كانت تسير أمام مركبته ، ألقى نظرة أخيرة على صورة ابنه الذى لم يره .. ونام .

المقدم جاك دى جيلون الذى كان قد ارسل سرا مع قوة صغيرة فى اتجاه باريس قبل تحرك الفرقة بثمان وأربعين ساعة،

استقبل زملاءه بعواطف متباينة . خلال الاربع والعشرين ساعة الماضية ، كان يريد القيام بحركة جريئة وحده ، هى أن يتسلل الى المدينة المحاصرة ، ويزود ثوارها بمؤازرة وحدته الصغيرة ..
ولكنه لم يتلق موافقة الجنرال لكلير على هذا العمل . فياور لكلير لم يجرؤ على ايقاظه فى الليلة الماضية ليبلغه بطلب دى جيلبون . فظل دى جيلبون ينتظر مهموما فى راموويبه لحوق بقية الفرقة به .

الجندى بول لاندريو الذى كان مستلقيا فى خندق صغير بجوار دبابته عند طرف قرية بريس ، ربما كان اكثر رجال الفرقة انفعالا ..

ان سرية الدبابات التى ينتمى اليها قد تلقت منذ لحظات أوامرها بشأن اليوم التالى .

ان وجهتها ستكون ضاحية فريسن على بعد ١٥ ميلا .

بالنسبة لبول لاندريو كانت هذه الاميال الخمسة عشر هى كل ما تبقى من رحلة طولها الف وثمانمائة ميل ، قادته عبر معسكرات الاعتقال فى اسبانيا وعبر صحارى تشاد وليبيا الى هذا الخندق الصغير .

وكانت هذه الرحلة قد بدأت منذ ثلاث سنوات ، فى مساء مثل هذا .. عندما غادر منزله فى ضاحية فريسن وهو يقول لزوجته أنه خارج لشراء علبة سجاير وسوف يعود بعد عشر دقائق . غدا سوف تنتهى هذه الدقائق العشر . سوف يقاتل بول فى شوارع فريسن من أجل تحرير بيته ، وزوجته التى لاتعرف اذا كان حيا أو ميتا .

وقد أعد فى ذهنه مفاجأة لزوجته ، هى أن يقدم لها عند عودته علبة السجائر التى كان قد قال لها أنه خارج لشرائها .

ولكنها لن تكون سجائر ((جولواز)) فرنســـية من التى كان يدخنها فى الماضى ، وانما سجائر ((كامل)) امريكيـــة من التى تصرف للجنود ..

***

بينما بدأ جنود الفرقة الفرنسية الثانية استرخاءهم لهــذه الليلة فى الأحراش المحيطة برامبوييه ؛ بدأت فرقة أخرى سيرها الطويل على نفس الطريق الذى اجتازته الفرقة الفرنسية .

من « كاروج » على بعد ١٣٢ ميلا من باريس وتحت عاصفة ممطرة قوية ، وفى الظلام ، خرجت فرقةالمشاة الامريكية الرابعة متجهة الى العاصمة الفرنسية .

كان جنود هذه الفرقة يشـــاركون زملاءهم جنود الفــرقة الفرنسية فى الاحساس باللهفة الى رؤية باريس . بعد ان امتلات مخيلاتهم بصور مثيرة لباريس ساهمت فى تشكيلها كتبالتاريخ وروايات الكسندر ديماس وأفلام هوليوود وقصـــة « أحدب نوتردام » وغيرها ، والمسرحيـــات الغنائية التى شـــاهدوها والاساطير الخيالية التى سمعوها عن العاصــمة الفرنسية .. كانت حماستهمللوصول اليها لا تقل كثيراعنحماسة الفرنسيين العائدين الى وطنهم .

عندما وصلت الفرقة الى مدينة « شارتر » قرر ضـــــابط المخابرات الكولونيل جون هاسكيل أن يحاول الاتصال بباريس تليفونيا ، لمجرد أن يجرب اذا كان ذلك ممكنا ، قرر ان يطلب صديقة قديمة له هى ميمى جيلجود ، زوجة أخ جون جليجـود الممثل الانجليزى الشهير ؛ كانت قد أمضت مدة الحرب بأكملها فى باريس ، وكان هاسكيل يتساءل كيف عاشت طوال هذه المدة فى باريس .. هذا اذا كانت لا تزال على قيد الحياة ..

لدهشته وسروره سمع على الطرف الآخر من الخط ـ على بعد خمسين ميلا ومن مدينة لا تزال تعج بالجنـــود الالمان ـ

صوت تلك السيدة الانجليزية يأتيه واضحا هادئا لا يهزه أى انفعال ..

قالت له فى منتهى البساطة وكما لو كان قد حادثها بالامس فقط :

ـ آه جون .. لقد كنت انتظر مكالمتك ! !

***

على الرغم من مشاعر اللهفة المستبشرة التى كانت تهز رجال الفرقتين المتجهتين الى باريس ، فان تحرير باريس المقبل سوف يكون له ثمنه ..

فى كل مكان كان ضباط الامداد والتموين التابعين للقيادة العليا للحلفاء فى أوربا ، يستعدون لمواجهة هذا الثمن .

فى مينائى بريستول وساوثهامبتون فى انجلترا ، كانت تنتظر ٥٣ طنا من المعدات الطبية و ٢٣٫٣٣٨ طنا من المواد التموينية أصبحت لها الآن الاولوية العاجلة فى النقل الى أوربا والى باريس .. ثلاثة آلاف طن منها سوف تنقلها بالطائرات . لنقل الباقى جرد الجيش البريطانى الواحد والعشرون ألفى سيارة نقل وثلاثمائة مركبة ثقيلة تجر كل منها مقطورة حمولتها ثلاثة أطنان . أخذت ألف سيارة نقل أخرى من خطوط تموين الامريكيين

علاوة على ذلك كلف الجيش الواحد والعشرون الذى يقوده مونتجومرى بأن ينقل خمسة الاف طن من المواد المختلفة يوميا الى باريس فى مركبات عسكرية ، وكلف الامريكيون بنقل خمسمائة طن أخرى ..

هذا الجهد سوف يتكلف سبعين ألف جالون من الوقود الغالى يوميا . سوف يكون ثمن هذا الجهد أكثر من مليون جالون من الوقود خلال اسبوعين لهما أهمية حيوية فى السباق الجارى عبر فرنسا .

فى الخيمة التى رفض فيها الجنرال جورج باتون قبـــل ثمان واربعين ساعة فكرة احتلال باريس ، التى عرضها عليـــه رجـل المقاومة الفرنسى روجيه جالوا ٠٠ أخذ الجنرال يدرس فى غضب وخيبة أمل تقريرا عاجلا . كان ذلك التقرير يسجل انه فى ذلك اليوم الثالث والعشرين من أغسطس استخدمتطوابيره المدرعة المندفعة الى الامام ، كمية من الوقود تزيد على تلك التى تسلمتهـا ، وكانت هذه هى أول مرة يحدث فيها هذا منذ اخترقت خطوط الالمان عند « افرانش » .

بعد اسبوع واحد فقط ، وامام مدينة « ميتز » .. حينما يصبح نهر الراين على بعد مائة ميل قصيرة فقط،وبينما تتراجع القوات الالمانية فى فوضى شاملة ..سوف تضطر دبابات الجيش الثالث الذى يقوده باتون الى ان توقف تقدمها المظفر بسبب نقص الوقود ٠

لن يكون قد تبقى أى وقود ..

انها سوف تحتاج الى مليون جالون منه بالضبط ، للوصول الى الراين ، وهى الكمية التى سوف يتكلفها تحرير باريس السابق لأوانه ٠

عندما يصلها الوقود فى أواخر سبتمبر ســـيكون الالمان قد أعادوا تنظيم صفوفهم وتلقوا تعزيزات ووقفوا ينتظرون عنـــد خط سيجفريد .

لن يصل باتون الى الراين قبل سبعة اشـهر طويلة ٠٠ لن يصل قبل ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ .

***

عاد هوبرتوس فون أولوك الذى كان قد رقى مؤخرا الى رتبـة « عميد » الى الفيللا التى يسكنها فى ضاحية « ســـان كلو »

وهو يشعر بالاطمئنان لاول مرة منذ عدة أيام .. ان التعزيزات التي طلب اضافتها الى العشرة الاف جندى الذين يتكون منهم خط الدفاع عن مداخل باريس الرئيسية قد بدأت تصـــل أخيرا .

فى اقل من ست ســاعات تلقى لواء من الدبابات وكتيبـــة صاعقة . والاهم من ذلك أنه ســـمع أن بعض عناصر الجيش الخامس سوف تلحق بقيادته خلال اليومين القادمين .

كان عائدا من جولة تفتيشية شاملة لمواقعه الدفاعيـــة التى سوف تتلقى بعد ساعات كل عنف الفرقة المدرعة الفرنســـية الثانية .. ومع ذلك فلم تكن لديه هذا المساء أية فكـــرة عن اختباء تلك الفرقة على بعـــد ١٥ ميـــلا منه فقط فى أحراش رامبوييه .

داخل باريس نفسها ، وفى بار فنـــدق رفاييل ، كان خبير المتفجـــرات النقيب فيرنر ابرناخ يشرب زجاجته الثالثة من الشمبانيا ويقص على الضابط الذى تعرف به فى البار كيف أتم وضع الالغام « تحت نصف باريس » ..

اعترف ابرناخ وهو يصب آخر محتويات الزجاجة فى كأسه بأن المهمة التى كلف بها لم تكن ممتعة ، ولكنه أضاف أنه سيفجر هذه الالغام بطبيعة الحال عندما يتلقى الامر بذلك .. وعندئذ « سوف يسمعون صوت الانفجارات فى برلين » .

***

كان الليل قد انتصف ، عندما توقف الرجلان فوق الكوبرى الصغير على نهر السين ، ليتطلعا فى صمت الى الدخان الذى لا يزال يتصاعد من أطلال « الجران باليه » كان منظرا من اكآب ما وقعت عليه عينا الكسندر بارودى فى حياته . ان باريس قد أوشك أن ينفد منها السلاح ، والذخيرة ، والطعـــام ، وحتى

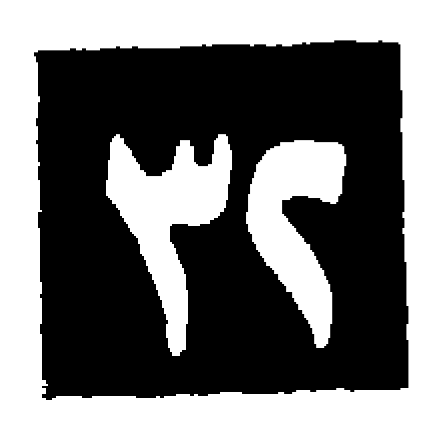
الامل . الثورة التى بدأت بكل تلك البسالة منذ أربعة ايام ، لن تستطيع أن تستمر طويلا بلا مساعدة من الخارج .

لم يكن أحد فى باريس يعلم بعد أن النجدة قد أصبحت أخيرا فى الطريق . ولذلك بدا لبارودى فى تلك الليلة ـ مثلما بدا لآلاف غيره من سكان باريس ـ أن العاصمة قد تركت لتواجه مصيرها .. وهو مصير يرمز اليه عمود الدخان الداكن المتصـــاعد من أنقاض « الجران باليه » ..

كانت عينا بارودى ممتلئة بالدموع عندما التفت الى ايفون موراندا وقال له فى صوت خافت :

ـ انهم سوف يحرقون باريس كلها يا ايفون .. وسيحملنى التاريخ مسئولية ذلك .

***



كان هتلر فى حالة غضب ضارية ..

التقارير التى تلقتها القيادة الالمانية العليا طوال اليوم كانت تشير الى تدهور الوضع فى باريس ، فى تقريره الاخير كان فون شولتنز قد اضطر الى أن يذكر أن « الارهابيين » يقومون بنشاط واسع يشمل المدينة بأكملها ..

وزاد الطين بلة ان الجنرال بوهله مدير الامدادات اضطر الى أن يبلغ هتلر بأن سلسلة من الغارات الجوية العنيفة قد شلت حركة السكك الحديدية حول باريس ، وان المدفع الرهيب « كارل » الذى كان الفوهرر قد أمر بارساله الى باريس لم يتحرك من مكانه طوال اليوم .

صاح هتلر فى ألفريد يودل رئيس هيئة أركان حربه قائلا أن الجيش الالمانى اذا عجز عن « سحق الدهماء الحقيرة » فى شوارع باريس ، فانه سوف يجلل نفسه بأكبر عار عرفه فى تاريخه .

استطرد قائلا : ان على مودل ــ القائد العام الالمانى فى الجبهة الغربية ــ ان يرسل الى باريس كل دبابة وعربة مصفحة يستطيع الاستغناء عنها ، أما فون شولتنز قائد حامية باريس ، فعليه أن يجمع مدرعاته ومدفعيته فى وحدات هجوم خاصة مهمتها سحق مراكز الثورة بلا رحمة .

كما امر بأن يضرب سلاح الطيران بعد ذلك هذه المراكز ضربا عنيفا وأن يقصفها بالقنابل المحرقة من أجـــل ابادة الاحيـــاء الباريسـية التى لا تزال تهدد القوات الالمانية .

سجل الجنرال فالتر فارليمونت فى مذكراته فى تلك الليلة ، أن حالة الهياج التى كان عليها هتلر مساء الاربعـاء ذاك ، كانت من أسوأ حالات هياجه التى أتيح له أن يشهدها ..

وذكر انه بينما كان يدون الاوامر التى كانت تتدافع من فم هتلر .. كانت الفكرة التى سيطرت على ذهنه هى : « ان باريس سوف تصبح مثل وارسو » !

***

فى مقر قيادته فى مارجيفال ، كان الجنرال فلد مارشال فالتر مودل يدرس التقارير المسائية الخاصـــــة بالوضع فى الجبهة الغربية . لم يكن فيها ما يعطيه أية فكرة عن الضربة التى سوف توجه الى قواته المرابطة أمام باريس ، وهى الضربة التى طلبهـــا سرا قائده فى العاصمة الفرنسية ..

ذكر التقرير الليـــلى الاخير انه لم تحدث غـير عمليـــات استكشاف محدودة أمام العاصمة ، واضاف فى تفاءل أن على الحلفاء أن يحضروا وحدات جديدة قبل أن يصبح فى امكانهـــم تنظيم هجوم كبير على باريس ، لم يكن أحد فى قيادة مودل قد لاحظ التحرك السريع للفرقة المدرعة الثانية ولا استعداد فرقة المشاة الرابعة للتحرك .

ومع ذلك فيبدو أن مودل كان قد قرر منذ اربع وعشرين ساعة انه راهن بما فيه الكفاية على ان باريس غير معرضة لخطـــــر سريع .. وربما ساهمت فى وصوله الى هذا القـــرار ، المكالمة التليفونية التى تلقاها من الجنرال فارليمونت مدير العمليـــات بالقيادة الالمانية العليا ، بأمر من هتلر .

كانت تلك المكالمة مؤدبة ، ولكنها كانت ملحة فى نفس الوقت . قال له فارليمونت أن هتلر يريد أن يعرف لماذا لم يفعل اكثر مما فعله حتى الآن لاحاطة باريس كلها بالحزام المحصن الذى أوصاه به .

رد مودل فى غضب قائلا :

ـ أبلغ الفوهرر بأننى اعرف ما الذى أفعله ..

ولكنه منذ تلك اللحظة بدأ يرسل الى فون أولوك أية وحدات مبعثرة استطاع جمعها لتعزيز الخطوط الدفاعية أمام باريس .

وفى مساء الاربعاء هذا ، كان مودل يبحث عن وسيلة مؤقتة لدعم قواته المرابطة امام المدينة .. فقد كان يدرك ان غارات الحلفاء الجوية التى تجبر الفرقتين المدرعتين السادسة والعشرين والسابعة والعشرين على قصر سيرهما على الليل وحده سوف تؤخر وصول الفرقتين الى باريس .

فعل ثلاثة أشياء ..

أمر فرقة المشاة السابعة والاربعين بالتجمع حول منطقة ميرو ـ نيبيى شمالى العاصمة مباشرة . وان تكون مستعدة لاتخاذ موقع فى طرفها الشمالى الغربى ..

وأمر الجيش الاول بأن يحشد ٤٧ دبابة فى « مو » على بعد ٢٦ ميلا من باريس ، تكون مستعدة للانتقال الى المدينة على الفور ..

وأخيرا أمر بارسال لواء مدفعية الانقضاض الحادى عشر الى باريس .

وكان يتوقع أن تصبح هذه الوحدات مستعدة للعمل بعد فترة تتراوح بين ٣٦ و ٤٨ ساعة ، أى فى يومى ٢٥ و ٢٦ اغسطس .

فى أية ازمة تستطيع هذه القوات أن توفر لفون شولتتز ما يكفيه لحين حضور الفرقتين المدرعتين . بعد ذلك عندما يصبح تحت أمر شولتتز أكثر من ثلاث فرق ، كان مودل واثقا من ان بطل سباستوبول يستطيع أن يوفر للفوهرر المعركة الدموية المستميتة التى يريدها أن تدور فى باريس .

كل ما أصبح يلزم مودل الآن هو القليل من الوقت .. مجرد الوقت الكافى لانتقال الوحدات التى أمر بتحريكها الليلة الى مواقعها الجديدة .

لم يعد يلزمه فى الواقع اكثر من ثمان واربعين ساعة .

***


طريق
النجاح


مؤسسة
دار التحرير للطبع والنشر
(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)

هـذا الكتاب..

أصدر هتلر أمرًا إلى قواده بتدمير باريس - أجمل عواصم الدنيا - قبل أن تنسحب جيوش الاحتلال الألمانية منها وتدخلها قوات الحلفاء ..

وجاء فى ذلك الأمر العسكرى الرهيب :

« إن باريس يجب ألا تسقط فى يد العدو .. ولكن إذا حدث ذلك ، فيجب ألا يجد العدو فيها شيئا غير أكوام من الحطام » !
لكن القدر تدخل لينقذ باريس بما يشبه المعجزة !!

● كيف نجت باريس من المصير الكئيب الذى أعده لها الطاغية النازى ؟!

● كيف عاشت الأيام العصيبة التى كانت تنتظر خلالها أن يحل بها الدمار الشامل ؟!

● كيف استطاعت أن تقوم بثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال فى الوقت الذى كانت فيه تلك القوات تستعد لتحويلها بأكملها إلى أنقاض ؟!

● ما هو الرد الذى تلقاه هتلر من كبير قواده عندما أراد يتأكد من أنه قد بدأ بالفعل تنفيذ الأمر الذى كان قد أصدره بعـ ترك باريس للحلفاء ، إلا بعد أن تكون قد التهمتها النيران ، فسأ
- هل باريس تحترق ؟!

« عـميد الإمـام »

